

الدكتور محمد رجب البيومي

رحالة يصف واعظاً

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي
عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

لا ادري لماذا لا يكتب تاريخ الوعظ في الاسلام كتابة منصفة واعية تسجل اتجاهاته وتتبع ادواره ، على نحو ما يكتب عن تاريخ التشريع او التفسير او الحديث مع وفرة المراجع في المكتبة الاسلامية عن الوعاظ والمرشدين ، اذ ان اكثر هؤلاء كانوا فقهاء او محدثين او مفسرين وكتب الطبقات تفيض في اخبارهم على مد العصور، بما يهيىء لمؤرخ الوعظ في الاسلام مادة جذابة مشوقة !! واقول جذابة مشوقة لان لكثير من هؤلاء الرجال مواقف سياسية باهرة تتصل كثيرا برجال الحكم وتنبىء عن غيرة المخلصين من العلماء حين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فيصادمون الطغيان المعتز بجبروته وعساكره وخيوله ! وهم بذلك يتيحون لمؤرخهم الدؤوب مددا لا ينقضي من الحديث ! هذا غير ما يضطر الى الافاضة فيه من توضيح طرائق الوعظ ومناهجه وما يحتاج اليه من تبحر في الشريعة وبراعة في المنطق وقدرة على استشفاف النفوس ودراسة ما يشتجر من التيارات ! وسنتحدث اليوم عن واعظ شغل مكانة مرموقة في عصره واجتمع حوله من الاشياع والمريدين ما لم يجتمع لانبه الاساتذة في عصرنا الحديث ، وقد كثرت الاخبار في ذلك كثرة تدعو الى التصديق وتقطع الطريق على كل متشكك يلتمس مظان الريبة فيما يقرا من الانباء ! وحسبنا ان نقرأ مؤلفات الرجل او ما بقي لدينا منها لندرك مبلغ علمه وتنوع معارفه وكثرة افانينه ، وان واعظا يترك المجلدات الحافلة في الفقه والتفسير والتاريخ والحديث والادب واللغة لجدير ان تلتف حوله الاشياع ! هذه المؤلفات الباقية بين ايدينا الى اليوم هي الوثيقة الصادقة التي تحدد مكانة الرجل في عصره ، وتشير الى اسباب زعامته الروحية ، وسيطرته الدينية على الجماهير على ان اهم ما جعل هذا الواعظ الجهير يتبوأ مكان الصدر بين العلماء ، وموضع الحظوة لدى الرؤساء ، وزمام القادة من الجمهور ليس ما شغف به من دراسة علوم الشريعة واللسان على كثرة ما ابدع في تناولها وتصنيفها بل خبرته الفائقة باحوال عصره ، وثقافات مجتمعه ، فقد رزق عقلا نهما يتوق الى شتى المعارف الانسانية ويستوعب في شوق ما يقال عن الفلسفة والمنطق ، هذا الى نفس مرحة طيبة تروي طوائف الادب وتتبع نوادر الشعراء والادباء ، وان عجيبا ان يكتب هذا الرجل مؤلفات ضخمة عن العشاق والظراف والمتماجنين واخبار النساء والمغفلين والمجانين والحمقى والاذكياء ، هذا غير مؤلفاته الموسوعية في التشريع والتفسير والحديث وعلوم القرآن والوعظ ، وقد افادته دراسته الادبية سلاسة رقيقة في اسلوبه كانت ذات تأثير خلاب في وعظه ، واذ كنا نعلم ان ابا الفرج الجوزي (وهو من نتحدث عنه) قد نشأ في القرن السادس وهو عصر المحسنات البديعية، والصناعات اللفظية ثم نجده يختار في وعظه وتأليفه معا ــ الاسلوب السلس الشائق غير ملتفت الى هذا العبث الصناعي المسيطر على الاقلام ، فاننا نعتبره صاحب مذهب فني يربأ بأفكاره ان تقيد بالسلاسل الزائفة ، ولولا بصيرته الادبية الشفافة ما اتيح له هذا التفوق الكبير !

ولم يسلم ابو الفرج الجوزي من مناوأة معاصريه فهو امام داعية ذو راي مسموع وتأثير نفاذ ، وكان من الطبيعي ان يسأل عما يضطرب في عصره وعما يموج به الفكر الاسلامي آنذاك من تيارات فيجيب اجابة المتمكن الضليع ، ثم يؤلف فيما يسأل عنه ، فتذيع مؤلفاته بين الخاصة والعامة ، وكان اشد الناس عداء للمتصوفة فهو ينكر ما يزعمونه من الخوارق ويلزمهم بالوقوف عند حدود الشرع ، ثم يخوض حربا طاحنة مع الجامدين من الفقهاء والمقلدين من المتحجرين ، وينقد التراث الفلسفي والمنطق ، ويناقش الاراء الكلامية في ذات الله وصفاته ، ويرد على ما يقال من التجسيم والتشبيه ، كل ذلك يترك

حوله غبارا ثائرا من معارضيه ، ولكنه مع ذلك يجذب اليه من الانصار اناسا يتفانون في تقديره ، ويتدافعون على مجالس وعظه حتى كان يقدر مجلسه الحاشد في بعض الاحيان بمائة الف وحتى قال عن نفسه :

ولقد تاب على يدي في مجالس الذكر اكثر من مائتي الف ، واسلم على يدي اكثر من مائتي نفس ، وكم سالت عين متجبر لوعظي لم تكن لتسيل .

لعل ما حببه للنفوس فوق علمه وادبه لطافة مظهره، فقد كان نظيفا متطيبا يلبس الجيد الراقي من اللباس ، ويظهر نعمة الله عليه ، فيما يتخذ من المأكل والمشرب والمسكن والمركب ، وكان لطيف الصوت ، حلو الشمائل رخيم النغمة ، ينتقل بسامعه من الجد الى الفكاهة كثير الاستشهاد بالنوادر والابيات معظما للحديث المحمدي ، وقد ذكر ابن خلكان عنه انه كان يحتفظ ببراية أقلامه التي يسطر بها حديث رسول اله واوصى ان يسخن بها ماء غسله بعد موته لفعل بها ما اراد وتهافت الناس على بقيتها فكفت اناسا كثيرين ! واذا كان التقريب من الرؤساء ـ ملقا ورياء ديدن بعض الذين يبتغون عرضا من الحياة الدنيا فان مما يشين العالم بوجه خاص والواعظ بوجه اخص ، وقد ادرك ذلك ابن الجوزي فاجتهد ان يكون بمنأى عن مودات ذوي الامر والنهي ، فلم يعرف له اتصال ببعض الخلفاء والوزراء مع انه كان يقيم ببغداد عاصمة الخلافة الاسلامية، ومناط التطلع والاستهواء لدى الوصوليين ممن لا يدخرون وسعا في الزلفى والشفاعة حتى يحوزوا رضا الحاكمين ثم يعودوا بالبدر والهبات ان قصرت اطماعهم على المادة والمناصب والالقاب ان تجاوزت المال الى الجاه والاستعلاء !

وما يروى من ان ابن الجوزي كان يعقد بعض مجالس الوعظ في ساحة قصر الخليفة فليس بسبب فما نحن فيه من ذم التقرب المغرض والوصولية المنتهزة لان الامام الداعية لم يستجب لرغبة الخليفة المستضيء في ذلك الا بعد ان اشترط على القصر ان يسمح لجميع العامة بالدخول حتى يكون الرئيس والمرءوس بموضع واحد من سماع الوعظ ومذاكرة العلوم !

وفعلا كان مجلسه في دار الخلافة لا يختلف عن مجلس وعظه في مكان آخر ، الا ما يروى من ان والدة الخليفة وابنها كانا يستمعان الوعظ من وراء ستار ، ومهما يكن من شيء فقد فطن ابن الجوزي بالتجربة المريرة الى اثر اتصال رجل الدين بالحاكم المستبد فقال عن نفسه :

كنت في بداية الصبوة قد الهمت طريق الزهاد بادامة الصوم والصلاة وحببت الى الخلوة فكنت اجد قلبا طيبا ، وكانت عين بصيرتي قوية حادة فانتهى الامر بي الى ان صار بعض ولاة الامور يستحسن كلامي فأمالني اليه فمال الطبع ففقدت الحلاوة ثم استمالني اخر فكنت اتقي مخالطته ومطامعه لخوف الشبهات ، وكانت حالتي قريبة ثم جاء التأويل فانبسطت فيما يباح فانعدم ما كنت اجد من استنارة وسكينة ، وصارت المخالطة توجب ظلمة في القلب الى ان عدم النور كله ، فاجتذبني لطف مولاي بي الى الخلوة على كراهة مني ، ورد قلبي علي بعد نفور عني، واراني عيب ما كنت اوثره فأفقت من مرض غفلتي وقد حرصت على ان انقل عبارته لانها ذات دلالة خاصة فيما يتصل بقلب الواعظ وخلوص طويته فليس المرجو منه ان يعظ بالقرآن والحديث ولكن القدوة الصالحة هي مناط التأثير والانجذاب ، ولا قيمة للعلم دون امتثال .

اما مجلس وعظه على هيئته الطبيعية دون تزيد او تخييل فقد حفظ لنا التاريخ صورة حية منه رسمها الرحالة الاندلسي ابن جبير في رحلته الشهيرة ، فجاءت صورة باهرة مثيرة قل ان تتاح لاحد ممن عرفناهم او قرانا عنهم من كبار المرشدين ، وابن جبير كما نعرفه في رحلته لم يكن يخالف الواقع الى المبالغة ، وهو في حقيقته فقيه محدث متدين يحرص على تسجيل اخبار الصالحين والهداة ومجاهدي الحروب الصليبية من الابطال ويفيض في الحديث عن المزارات والمناسك ومواسم العبادة من صوم وحج وزكاة ، ولو جردت رحلته مما يتعلق بمسائل الدين ومناسكه والحديث عن رجاله وعلمائه ما وجد شيء ذو بال ، بل ان رحلته من الاندلس الى المشرق في لبابها الصريح كانت رحلة دينية تهدف الى التوبة والتطهير وغفران الذنوب بزيارة بيت الله في مكة وروضة الرسول في المدينة ، فقد قيل ان سبب الرحلة الاولى هو « ان ابا سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة استدعاه ليكتب له كتابا وهو على شرابه ، فمد يده اليه بكأس فأظهر الانقباض وقال يا سيدي ما شربتها قط ، فقال والله لتشربن منها سبعا ، فلما راى العزيمة شرب سبع كؤوس فملأ له السيد الكأس من دنانير سبع مرات وصب ذلك في حجره ، فحمله الى منزله ، واضمر ان يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ثم رغب للسيد واعلمه انه حلف بايمان لا خروج له عنها ان يحج في تلك السنة فأسعفه وباع ملكا له تزود به وانفق تلك الدنانير في سبيل البر » .

اخذ ابن جبير يجوب الافاق حتى قدم بغداد ، ولا ندري لماذا لم تقع منه هذه المدينة الزاهرة موقع الارتياح، « فقد ذهب اكثر رسمها ولم يبق الا شهيرا اسمها فلا حسن فيها يستوقف البصر واهلها يتصنعون بالتواضع رياء ، يزدرون الغرباء ، ويظهرون لمن دونهم الانفة والاباء، والغريب فيهم معدوم الارفاق متضاعف الانفاق ، لسوء معاشرة ابنائها يغلب على طبع هوائها ودمائها استغفر الله الا فقهاءهم المحدثين ووعاظهم المذكرين » .

وكأني بابن جبير وقد استثنى الفقهاء والمحدثين اجلالا لابن الجوزي فقد تحدث عنه بما شاء الله ان يتحدث عن عالم ورع مهيب مفضال ! وقد وصف مجلس وعظه

وصفا غريبا نقف منه على ما كان يتبع في عصره لدى الوعظ من تقليد ! اذ ان المجلس المديني كان يبدا عادة بتلاوة آيات من الذكر الحكيم يقرؤها في المجلس الواحد اكثر من عشرين قارئا ، كل قارىء آيتان آيتان ! وجميع الآيات في غرض واحد اذا انتهى القراء وقف الواعظ فالقى خطبة فياضة تدور حول الايات المتلوة ، فيأتي بها جميعها مفسرة موضحة ومؤيدة بما يدور في فلكها من الحديث وقصص الهداة وعبر التاريخ ، على ان يلتزم في خطبته الحرف الاخير من اخر آية كريمة قراها المرتلون فيكون مقطع الجملة وقافية العبارة دون تكلف او افتعال ، فاذا فرغ من تفسيره تلقى الرقاع المختلفة تحمل اسئلة الجمهور فيجيب عنها واحداً واحدا ، لا فرق بين سؤال في موضوع الخطبة او سؤال خارج عنه حول اي مشكلة تدور في الاذهان ، وكنت اظن ان نظام الاسئلة عقب المحاضرات امر مستحدث نعرفه الان فقط ولكن حديث ابن جبير عن ابن الجوزي والقزويني وغيرهما من المحاضرين

يدل على ان الامر في ذلك يرجع الى مدى بعيد ، وقد حضر الرحالة الطلعة ثلاثة مشاهد من مجالس الوعظ لابن الجوزي ، فوصفها وصفا متقاربا بحيث يغني وصف المجلس الواحد عن اخيه لا فرق بينهما الا في موضوع الوعظ وفحواه ، اما طريقة القراء ونظام التلاوة وتهيئة المجالس فكل ذلك يسير على وضع رتيب وسننقل هنا وصفا بديعا لبعض مجالس ابن الجوزي ومستلزمات وعظه كما رسمها الرحالة الكبير — قال :

« ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد جمال الدين ابي الفضائل ابن علي الجوزي بازاء دارة على الشط بالجانب الشرقي ، وفي اخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصلية آخر ابواب الجانب الشرقي ، وهو يجلس به كل يوم سبت فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد ، وفي جوف الفرا كل الصيد ، ومن ابهر آياته واكبر معجزاته انه يصعد المنبر ويبتدىء القراء بالقرآن وعددهم ينيف على العشرين قارئا فينتزع الاثنان منهم او الثلاثة آية من القراءة يتلونها على نسق بتطريب وتشويق ، فاذا فرغوا تلت طائفة اخرى على عددهم آية ثانية ، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات الى ان يتكاملوا قراءة ، وقد اتوا بآيات متشابهات لا يكاد المتقد الخاطر يحصيها عددا ان يسميها نسقا فاذا فرغوا اخذ هذا الامام الغريب الشأن في ايراد خطبته عجلا مبتورا ، وافرغ في أصداف الاسماع من الفاظه دررا ، وانتظم اوائل الآيات المقروءات في اثناء خطبته فقرا ، واتى بها على نسق القراءة لها ، لا مقدما ولا مؤخرا ، ثم اكمل الخطبة على قافية آخر آيه ، فلو أن ابدع من في مجلسه تكلف تسميته ما قرا القراء آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك فكيف بمن ينتظمها مرتجلا ويورد الخطبة الفراء بها عجلا افسحر هذا ام انتم لا تبصرون » ، « ان هذا لهو الفضل المبين » . فحدث ولا حرج عن البحر ، هيهات ، ليس الخبر عنه كالخبر ، ثم انه اتى بعد ان فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر طارت لها القلوب اشتياقا وذابت بها الانفس احتراقا الى ان علا الضجيج وتردد بشهقاته النشيج ، واعلن التائبون بالصياح وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح ، كل يلقي بناصية بيده فيجزها ويمسح على راسه داعيا له ، ومنهم من يغشى عليه فيرفع في الاذرع اليه ، فشاهدنا هولا يملأ النفوس انابة وندامة ، ويذكرها هول يوم القيامة ، فلو لم نركب ثبج البحر ونعتسف مفازات القفر الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابحة والوجهة المفلحة الناضجة والحمد لله على ان من بلقاء من تشهد الجمادات بفضله ، ويضيق الوجود عن مثله ، وفي اثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل وتطير اليه الرقاع فيجاوب اسرع من طرفة عين وربما كان اكثر مجلسه الرائق من نتاج تلك المسائل ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا اله الا سواه » .

وظاهر من كلام ابن جبير انه دهش لاتفاق الخطبة الوعظية مع الآيات القرآنية المتلوة ! فهو يقول : فلو ان ابدع من في مجلسه تكلف تسميته ما قرا القراء آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك ، فكيف بمن ينظمها مرتجلا ويورد الخطبة الفراء بها عجلا ، وربما تزول دهشة الرحالة حين يعلم ان هؤلاء القراء كما افهم يعرفون ما سيقرءون من ابن الجوزي قبل ان يلتئم الجمع ، فالرجل لا محالة يجمع مادة الدرس من كتاب الله في موضوع واحد تتفرق آياته في السور المختلفات ثم يخبر بها القراء ليقوموا بتلاوتها وللاصوات الحسنة تأثيرها النفاذ فهي تمهد السبيل لتلقي الوعظ ومتابعة التفسير ، فاذا نهض الامام ابن الجوزي ليفسر النص بعد ان استمتع الحاضرون بتلاوته صادف موضع الرغبة والاقبال .

وهذا مما يزيد توفيقه ونفاذه ولن يقول قائل ان اعداد الآيات مما ينقص مقدرته على الارتجال ، فهو آية اعتداده بنفسه ، ودليل تمكنه من الربط البدهي والتعليل الحاضر والاستشهاد السريع وحق لمثله ان يقول فيه ابن جبير « فلو لم نركب ثبج البحر ونعتسف مفازات القفر الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابحة مع انه راى في رحلته الدنيا وشاهد مئات الرجال.

المنصورة — مصر **محمد رجب البيومي**

بَعضُ شَمس

★

صار يغفو ، نهارُه كليلٍ ،

ثم يصحو ، وليلهُ نهارْ .

ما لها الارضُ تستحيلُ سِجناً

لرؤاهُ ، وتكبرُ القفارْ ؟

ههنا كان عنده ديارٌ ،

وهنا غابةٌ وحقلُ غارْ ،

وهنا طائرٌ ، هنا ربيعٌ

مرّ يوماً بداره ودارْ .

وغدت طرقاته كتاباً

يقرأ الماءَ فيه والحجارْ .

ومضى ينثر النجومَ شعراً

لاحباءِ عمرهِ الصغارْ .

وامّحى حلمُه ، فلا ربيعٌ

ظل من امسه ولا ديارْ .

الضّحى بيتُه وبعضُ شمسٍ

عَلِقَتْ في نهايةِ البحارْ .

باريس ، ٩-٣-١٩٨٢ اديب صعب



ايليا ابي ماضي

قصيدة عصرّية لأبي ماضي

بمناسبة مرور سبعين عاما على صدور «ديوان تذكار الماضي»

بقلم الدكتور جورج ديمتري سليم

* * *

ترك لنا ايليا ظاهر ابو ماضي (١٨٨٩ - ١٩٥٧) ، ضمن اشعاره المطبوعة والمخطوطة ، قصيدة خاصة تختلف اختلافا بينا عن قصائده الاخرى . فهي القصيدة الوحيدة التي واصل ابو ماضي في كتابتها ما يقرب من نصف قرن. وهي قصيدة قصيرة اذا اعتبرنا طول المدة التي امضاها الشاعر في كتابتها . ثم هي - كما سنرى - قصيدة غلب فيها المعنى على المبنى فجاءت بشكلها الحالي ، قصيدة بلا وزن وبلا قافية - ولم لا ؟ وابو ماضي هو القائل :

« لست مني ان حسبت الشعر الفاظا ووزنا
خالفت دربك دربي ، وانقضى ما كان منا » .

والقائل ايضاً :

« فاستنطقوا القلب ، او جسوه ، يخبركم
فالحب والقلب مكنون بمكنون
وفي زواياه شعر لا وزان له
ورب شعر جميل غير موزون » .

ولعل اهم ما تتميز به هذه القصيدة هو تناولها ، في آن واحد وبطريقة خاطفة ، صورا لابي ماضي في مراحله كلها ، وفي حالاته كلها . فكأنها ، ان شئنا ، قصيدة عمره . فيها نراه شابا وكهلا وشيخا ، مرحا وكئيبا ، متسائلا ومقررا ، ناصحا ومؤنبا ، مصرحا وملمحا ، راضيا وساخطا ، هادئا وثائرا ، فاخراً ومنذرا ، خياليا وواقعيا، يائسا وآملا .

وقبل تقديم هذه القصيدة الى القارىء احب ان اقول اني تركتها بلا عنوان كما تركها الشاعر ، اما نصها فقد سمحت لنفسي بترتيب اجزائه بعد ان لمت اطرافه على قدر المستطاع . وهاكم القصيدة :

من انا ، يا ترى ، في الوجود ؟
وما هو شأني ؟
وما موضعي ؟
انا قطرة لمت في الضحى قليلا على ضفة المشرع
انا نغمة وقعتها الحياة لمن قد يعي ولمن لا يعي
انا شبح راكض مسرع مع الزمن الراكض المسرع
انا موجة دفعتها الحياة الى اوسع فالى اوسع
ليت الذي خلق الحياة جميلة لم يسدل الاستار فوق جمالها
ذهب الصبا وانا اعالج سرها متحيرا في كنهها ومآلها

سيرت في فجر الحياة سفينتي
واخترت « قلبي » ان يكون امامي
واذا العباب ملاعب ومراقص
و اذا انا من صبوة لغرام
مرت بي الاعوام تتلو بعضها
وانا كاني لست في الاعوام
يا صاحبي !
هيا نجز سجن الرؤى
انا تائـه
انا جائـع
انا ظـامي
واراد « عقلي » ان يقود سفينتي للشط
في بحر الحياة الطامي
واذا الطريق مخاوف ووساوس
واذا انا من هبوة لقتام
ابغي الثراء - ولم يكن من مطلبي -
وارى الجمال بناظر متعام
واشيد - مثل الناس - مجدا زائفا

واشد حول الروح ثوب رغام
فاذا انا ـ والارض ملكي والسما ـ
قد صرت عبد الناس ، عبد حطامي
انا آدمي كان يحسب انه هو الكائن الاسمى
وشرعته الفضلى
امن على الصادي اذا ما لقيته وألزمه شكري
ولست انا الوبلا
تتلمذت للانسان في الدهر حقبة فلقنني غيا
وعلمني جهلا
انني اشهد في نفسي صراعا وعراكا
وارى ذاتي شيطانا واحيانا ملاكا
هل انا شخصان يأبى ذاك مع هذا اشتراكا ؟
اين ضحكي وبكائي وانا طفل صغير
اين جهلي ومراحي وانا غض غرير ؟
انني اضحك احيانا ، ولكن ، اي ضحك !
هل انا اليوم انا منذ ليال وشهور ؟
ام انا عند غروب الشمس غيري في البكور ؟
اانا افصح من عصفورة الوادي واعذب ؟
ومن الحية ادهى ؟
ومن النملة اغرب ؟
هل انا قائد نفسي في حياتي ام مقود ؟
هل انا حر طليق ام اسير في قيود ؟
اانا السائر في الدرب ام الدرب تسير ؟
انني جئت وامضي ، وانا لا اعلم
انــا لغز
وذهابي كمجيئي طلسم
وما انا بالغريب الدار وحدي
فكل الناس عندي في اغتراب
انا للارض ، وان طال عن الارض اغترابي
انا نهر لم اتمم بعد في الارض انسيابي
انا روض لم اذع كل عبيري وملابي
انا نجم لم يمزق بعد جلباب الضباب
انا فجر لم تتوج فضتي كل الروابي
انا طائر قد كان يمرح في الربى
وعلى ضفاف الجدول المترقرق
فطوى الفضاء مروجه وفضاءه
ليزج في قفص الحديد الضيق
لا ، بل انا ملك
صحوت فلم اجد عرشي ، ولا تاجي ، ولا استبرقي
لم اجد في القصر شيئا ليس في الكوخ المهين
انا في ذاك وهذا عبد شكي ويقيني
انا الشادى ، انا الباكي
انا العاري ، انا الكاسي
انا في الارض جائم غير اني طائر الفكر
انا كالسنديانة
شوشت اغصانها الريح التي تلويها
انا لولا الشعور لم اتألم
ليت هذا الفؤاد كان جمادا
لم الدهر الذي اخنى علي
انا حمل الاسى لا استطيع
انا لست بـ « الحسناء » اول مولع
هي مطمع الدنيا كما هي مطمعي
ولكم دخلت الى القصور مفتشا عنها
وعجت بدارسات الاربع
فاذا الذي في القصر مثلي حائر
واذا الذي في القفر مثلي لا يعي
سئمت نفسي الحياة مع الناس
قالت : اخرج من المدينة للقفر ، ففيه النجاة من اوصابي
انما نفسي التي ملت العمران ملت في الغاب صمت الغــــاب
فأنا فيه مستقل طليق ، وكاني ادب في سرداب
خلت اني في القفر اصبحت وحدي
فاذا الناس كلهم في ثيابي
قيل : اغتنى « زيد » ، فليتك مثله
انا مثله ، ان لم اقل : انا افضل
ما دمت في صحبي ، ودام وفـــاؤهم ، فانا الغني الحق ، لا المتمول
انا ـ ما عشت ـ سوف اذكر بالشكر جميل الرفاق والاخـــوان
يا اخي !
لا تمل بوجهك عني
ـ انا من وجوه العابسين ، ومن الألى عبسوا ، براء
ما انا فحمة
ولا انتِ فرقد
النجوم التي تراها اراها حين تخفى وعندما تتوقد
لست ادنى على غناك اليها
وانا مع خصاصتي لست ابعد
ان طير الاراك ليس يبالي انت اصفيت ام انا ان غرد
لا يكن للخصام قلبك مأوى
ان قلبي للحب اصبح معبد
انا اولى بالحب منك
واحرى من كساء يبلى ، ومال ينفد
انا بالحب قد وصلت الى نفسي
وبالحب قد عرفت الله !
انا مثل الناس طرا
لي في الصحة آراء
وفي العلة اخرى
من احب الله جبارا وفتاكا وقاهر

فأنا اهواه رساما وفنانا وساحر
انا غيث
فان وجدتك حقلا فانا العشب والشجر
ان تغب في فراشة الواني فأنا زهرة تطير
واذا انحل في الشعاع كياني فأنا في الضحى عبير
وانا الاقحوان
سيان عندي عشت يوما او بعض يوم

ايها السائل عني من انا ؟!
انا كالشمس
الى « الشرق » انتسابي
انا كالسوسن
لو لم ينتقل لم يتوج زهره راس كعاب
انا في « نيويورك » بالجسم
وبالروح في « الشرق » على تلك الهضاب
انا في « الغوطة » زهر وندى
انا في « لبنان » نجوى وتصابي

وطن النجوم !
انا من مياهك قطرة فاضت جداول من سنا
انا من ترابك ذرة ماجت مواكب من منى
انا من طيورك بلبل غنى بمجدك فاغتنى
انا صب متيم ببلادي
ما لقومي ــ لا وهي حبلهم ــ قنعوا من دهرهم بالوشل
انا من امرهم في شغل
وهم عن امرهم في شغل
فأنا على ما ضاع جازع
ان الذي قد ضاع جد ثمين
مرت ليال ما لها عدد وانا حزين باهت كمدا
انا لما بي ساهر لم اهجع

بني وطني !
انا انتم
ان ضحكتم لامر ضحكت
وادمعكم ادمعي
انا واحد منكم ، يا نجوم بلادي
متى تسطعوا اسطع
انا من روضكم قطفت ازاهيري
ومن بحركم غرفت جماني
انا في حماكم طائر مترنم بين الاقاح الغض والنسرين
انا مثل « آدم »
حينما فارقتكم ضيعت فردوسا من اللذات
هيهات اشكو الدهر بعد لقائكم
انا ان شكوت الدهر كنت المذنبا
انا لا اهدي أليكم ورقا
غيركم يرضى بحبر وورق
انا احيي في كهولكم النهى
والطهر والاحلام في الاولاد
انا لا اشتاق كاسات الطلا
لا ، ولا اطلب مجدا او ثراء
انما شوقي الى دنيا رضى
والى عصر سلام واخاء
وانا لشوفي لا يقر قراري
انا ما وقفت اليوم موقفي الا لاندب حالة التعساء
انا امرؤ دين المحبة ديني
انا ــ والله ــ لو ارجع خليا بلا دين
جعلت الحب ديني

انا شاعر ابدا تائق الى الحسن
في الناس والكائنات
احب الزهور
واهوى الطيور
واعشق ثرثرة الساقيات
ورقص الاشعة فوق الروابي
وضحك الجداول والقهقهات
انا شاعر ما لاح طيف ملاحة الا وهلل للجمال وكبرا
انا خير من قال القوافي
في لساني مضاء
انا ملك وجندي الشعراء
انا امام الذين هاموا
واي قوم بلا امام ؟
ما هو الشعر ؟
انني ما رأيت اثنين الا وفيه يختصمان
ما حفز الانسان شيء للشعر كالانسان
انا من اجله بنيت قصوري
وفرشت الدروب بالريحان
انــا من اجله شددت الاوتار في عيداني
انا من اجله رجعت من الروضة في راحتي بالالوان
انا لا استعذب الشعر اذا لم اجده روضة او افقا
واذا انا لم اجد حقلا مريعا خلقت الحقل في روحي وذهني
يا رفيقي !
انا لولا انت ما وقعت لحنا

ما للوشاة اذا سكت تكلموا
وتقولوا عني الذي لا اعلم
فأنا مسيء حين اكتم لوعتي
وانا مسيء حين لا اتكتم
قل للوشاة : تقولوا ما شئتم
لا شأنكم شأني

قبلة العيد

★

قبلة العيد وما اطيبها — قبلة من ثغرك العذب الجميل
كنت لو صحت اماني الهوى — اخلع العمر على درب الاصيل
وارد الشمس من حيث بدت — واعيد العرس في قانا الجليل
ولقاءات الصبايا عمراً — وحديث الحب في ظل النخيل
آه لو صحت اماني الهوى — ما بكى طرف ولا اودى قتيل

وديع ديب

ولا انا منكم
ماذا عليكم من دموعي ان جرت
انا من تسيل دموعه لا انتم
وانا الذي حمل الاسى ومشى به
وانا الذي احشاؤه تتضرم
وانا الذي وهب الكرى لجفونكم
واقام يرعى النجم حين هجعتم
انا كالهزار مضى الهيام بصوته
نظر الجهول فقال : هذا ابكم
انا كالطائر الذي اندفق السحر عليه ففص بالالحان
اني انا الاسد الهصور بسالة
ويل لقوم حاولوا احراجي
ولا انا من يسير على هواه
ويخفق كلما هزته ريح
انا لا تغشني الطيالس والحلى
كم في الطيالس من سليم اجرب
وما انا بالعبد الذي يرهب العصا
ولكنني حر تروع بوادره

أنا من قوم اذا حزنوا وجدوا في حزنهم طربا
انا من قوم اذا ما حكموا طرب المظلوم والعاني ابتسم
واذا ما شهروا أسيافهم خشي الدهر المنايا فانهزم
وما دام في الدنيا سمو ورفعة
فما انا من يرضى ويقنع بالأردا
ان الحياة الروح بعض عطائها
وانا ثمار الروح كل عطائي
انا ما زلت ذا رجاء كبير
ولئن كنت لا ارى ذا رجاء
انا من ضميري ساكن في معقل
انا من خلالي سائر في موكب
انا في الزمان كموجة في زاخر
انا فيه ان يزيد وان لم يزيد
امسي انا
يومي انا
وانا غدي .

واشنطن — جورج ديمتري سليم



احمد حسين الطماوي

في الذكرى الاولى لعلي ادهم

علي أدهم وأبطال التاريخ

بقلم احمد حسين الطماوي

* * *

في كتابة سير العظماء والعبقريين تنبيه للامة بامجاد رجالها الخالدين الذين ساهموا في صنع تاريخها وحضارتها وعملوا على رقيها الفكري والادبي ، واننا عندما نسجل تراجم رجالنا الافذاذ فانما نعبر عن جانب من طمحات الامة وتقدمها .

وقد قدم علي ادهم للمكتبة العربية عدة تراجم طويلة في كتب مستقلة لعظماء من الشرق والغرب نذكر منهم : عبد الرحمن الداخل وعبد الرحمن الناصر والمنصور العباسي ، والمنصور بن ابي عامر ، والمعتمد بن عباد ، ومتزيني ، وتراجم قصيرة ضمتها بعض كتبه من امثال يوسف بن تشفين ، ونابليون ، وتاليران ، وقيس بن سعد ونصر بن سيار وابي مسلم وغيرهم .

وبعض هؤلاء من مؤسسي الامبراطوريات ، وبناة الدول ، ومنهم من قام بادوار كبيرة في تاريخ الانسانية ، ودخلوا في صراعات رهيبة من اجل اعلاء كلمتهم ، وتأكيد ذواتهم ، وفرض افكارهم على شعوبهم ، وعلى شعوب مجاورة لبلدانهم .

ونتساءل ما الذي يحرك هؤلاء الافذاذ الى فعل الافاعيل ، والنهوض بالاعباء الجسام ، وخوض الحروب الدامية ، واثارة المعارك الحامية ، ولا يخلدون الى الهدوء والراحة قبل ان يفرغوا من تحقيق ما جاهدوا من اجله ، وادراك الغايات التي حددوها لانفسهم .

صراع الافكار

ولنلتمس الاجابة على هذا السؤال عند علي ادهم الذي فسر احداث التاريخ وهزات وقائعه بما اطلق عليه « صراع الافكار » فتنشب المعارك وتشتعل الحروب بين الامم « لتغليب فكرة من هذه الافكار على الاخرى » وهذه الفكرة هي التي توحي للبطل بتصرفاته ، وتدفع به الى الحركة والكفاح ، وتخطي العوائق والصعاب ، والسمو على العوامل المناهضة له ، ويظل البطل يجاهد في سبيل تحقيق « الفكرة » التي آمن بها حتى يدرك غايته ، ويفطن ادهم الى ما يسميه « الغريزة التاريخية » التي تستحث همة الابطال حيث تتوهج عواطفهم ، وتتقد اذهانهم لتغليب الافكار التي عملوا على اعلائها .

وبناء على هذا فان مقياس عظمة الابطال عند علي ادهم هو مدى تحقيقهم للافكار التي تشبعوا بها، وتشيعوا لها ، وادوا مطالب عصرهم واقوامهم بفرضها ، ومن ثم فان عبد الرحمن الداخل او صقر قريش من الابطال العظماء لانه « حقق فكرة عصره » بتأسيس الدولة العربية الاسلامية الاموية في الاندلس ، ولم يقم وزنا لمطالبه العاطفية ، او لذاته الحسية .

وكان لقراءات علي ادهم الغزيرة في الفكر الالماني وخاصة « هيجل » العامل الاكبر في التأثر بما قيل في « الفكرة » التي تستقر في وجدان البطل وتحركه نحو اثباتها اثباتا عمليا ، ويشير ادهم الى ما غلب على التفكير الالماني في بدايات القرن التاسع عشر بقوله : « ان كل امة من الامم ، وكل عصر من العصور ، وكل حضارة من الحضارات لها فكرتها الخاصة الغالبة المستعلية ، وهي تستمد سماتها من هذه الفكرة العامة. ويمكن ان نستخلص الفلسفة والدين والفنون وجميع عناصر الفكرة الرئيسية العامة التي ينبع منها كل شيء كما ينتهي اليها كل شيء » (٢) .

ويقول هيجل : « ان الرجل العظيم في العصر هو الذي يستطيع ان يعبر عن ارادة عصره في كلمات ، ويخبر عصره ما هي ارادته وينيرها . ما يفعله هو قلب وروح عصره . انه يحقق عصره » (٣) . ونستطيع ان نقرأ كلمات مشابهة او اراء مماثلة لعلي ادهم في تقديمه لكتابه « صقر قريش » مما يدل على افادته من الفكر الالماني في هذا الشأن .

ومن ناحية اخرى كان لاعجابه الشديد بالكاتب الانجليزي كارليل صاحب كتاب «الابطال وعبادة البطولة»

اكبر الاثر في تعميق فكرته عن البطل المحقق لافكاره .

وعندما نقول ان ادهم تأثر بهيجل او كارليل او غيرهما من المفكرين لا يعني هذا انه ينقل آراء الاخرين ، فالانسان لا يستميله شيء او يجذبه الا اذا كان له رصيد في نفسه ، ونداء من وجدانه ، ولا يعضد فكرة او يناصرها الا اذا اقرها عقله ، فحينئذ تجد أرضا خصبة فتنمو وتثمر .

التفسير النفسي

وتجدي مراقبته العقلية الفاحصة لنفوس الابطال في كشف سر عظمتهم وتفوقهم ، وانه اذا كان قد اهتم بالعوامل التاريخية التي يتجاوب معها البطل ، فانه يقف ايضا على العوامل النفسية فيصور لنا نفوس ابطاله ، ويبين شدة عزيمتهم ، ويرى انهم يخضعون « لعاطفة مستعلية عليهم غلابة على نفوسهم ، وحول القوة التي تفيضها هذه العاطفة وتصبها على الفكرة الهابطة على العصر تتركز الحركات التاريخية ، وتأخذ هذه العاطفة عليهم مسالك نفوسهم فلا يستوطئون راحة ولا ينعمون بسعادة وهي السر في الجهود الجبارة التي يبذلونها ونراها نحن فوق طاقة البشر وخارجة عن دائرة الامكان » . وهكذا يلتقي التفسير التاريخي والتفسير النفسي في كتابات علي ادهم عن الابطال فستنير بصائرنا بأحوالهم ، وتتكشف لنا اسرار بطولتهم وفحولتهم .

بل انه يذهب الى اكثر من هذا، حيث يرى ان معرفة العواطف المسيطرة على نفوس العظماء تساعد عقولنا على فهم روايات دستوفسكي وتولستوي وبلزاك وغيرهم . وهكذا يفيد من دراسة التاريخ واحداثه من خلال حركة ابطاله في الوقوف على دقائق الاعمال الادبية الرائعة .

وعلي ادهم لا يخضع ظهور العظماء سواء في الحرب او السياسة او الفنون الى القوانين الجبرية ، وعنده ان الافذاذ يبرزون عند « التقاء المواهب الطبيعية بالظروف المواتية» (٤) ويذهب الى ان القدرات الخاصة والمواهب الكبيرة، غير كافية لاعلاء العظيم وتفوقه، فلابد ان تكون الاحوال والاجواء التي يعيشون فيها موائمة ومناسبة لتلقي افكارهم واثارهم ، واذا كان ادهم يشترط استجابة العصر لمواهب الفذ وعطائه ، فانه يقرر ان « العصر » لا يخلق العظيم ولا يوجد النابغة . وخلاصة الراي ان العامل الاساسي في ظهور المتازين هو وجود المواهب والملكات ، والعامل المساعد هو نضج الاحوال واستعداد الناس لتقبل ما يأتي به الابطال .

علي ادهم بين كارليل وامرسون

هل البطل جزء من التاريخ او هو صانع التاريخ ؟

هل هو ممثل عصره ومجتمعه او هو صانع عصره ومجتمعه ؟

اسئلة هامة واجهت كتّاب التراجم على مر العصور واختلفت اجاباتهم عليها من حين الى حين . وفي اعتقادي ان هذا يرجع الى شيئين : اولا : شخصية كاتب الترجمة ومفاهيمه للحركة التاريخية ومعتقداته السياسية والاجتماعية . ثانيا : شخصية صاحب الترجمة ومدى تأثيره في الاحداث ، فانه تختلف النظرة من زعيم الى زعيم .

وفي اجتهاد علي ادهم لفهم طبيعة الابطال كما تعرف عليها في تصرفاتهم وجليل اعمالهم ، وفي الوقوف على العوامل المحركة لهم في صنع الجديد . يخيل الينا انه كانت تتجاذبه فكرتان :

الاولى : فكرة كارليل القائل بان البطل هو صانع الاحداث « وان القدر ينطق على لسانه ويستبين في اعماله » . بل يذهب الى ما لا يمكن تصوره في « عبادة الابطال » . وقد كان علي ادهم معجبا بكارليل وكان يصف بعض ارائه بانها « لامعة ومضيئة » مما يعني تعاطفه مع كارليل . ولكنه يختلف مع كارليل في « عبادة البطولة » يقول في كتابه على « هامش الادب والنقد » :

« وكاتب التراجم الحديث لا يحفل بجلالة قدر العظماء ، ولا يسدد بصره ضخامة شهرتهم ، ولا يتخشع امام هيبتهم ، ولا يسمو بهم الى مراتب الالهة والارباب ، ولا ينزههم عن الاهواء والاخطاء» فهو يضع البطل في نطاقه الانساني وان ذكر افاعيله العظيمة ، ونظراته العالية .

الثانية : فكرة امرسون الكاتب الامريكي صاحب كتاب « ممثلو الانسانية » والذي يؤكد فيه ان الابطال هم نواب الانسانية وان الشعوب والجماعات تمهد لهم سبل النجاح والرقي . وفكرة امرسون لا تخلو من صواب ودقة نظر ، ولكن البطل لا يمثل فقط القوى الشعبية والاجتماعية بل قد يوجدها ويوجهها ويستحثها على الحركة والفعل في كثير من الاحيان .

ويعلق علي ادهم على كتاب امرسون بقوله :

« .. العظمة في راي امرسون ليست شيئا قائما بذاته منفصلا عن الانسانية ويلزم ان يكون العظيم متصلا بنا وتتلقى منه حياتنا ما يعدها بالبيان والتفسير (٥) وهذه الكلمات تعكس لنا تفهم ادهم لاراء امرسون . وارى ان علي ادهم قد افاد من الفكرتين فحينما يغالي في تقدير العظمة عند الابطال متأثرا بافكار كارليل ، فان امرسون يطامن من غلوائه ، فتأتي كتاباته عن الابطال الذين ترجم لهم متوازنة فيها الاشادة بالعظمة وذكر المواقف الحاسمة ، والمناقب الجليلة ، وفيها تصوير البطل الممثل لعصره ولبيئته مع سرد معايبه .

واذا كان لنا كلمة في هذا المقام فاننا نرى انه من الصائب الا نفرض نظرية بعينها في تفسير البطولة والعظمة، وذلك راجع الى اختلاف الظروف والعصور التي ينشأ فيها الابطال ، واختلاف نفوسهم وقدراتهم ، وتباين انجازاتهم ومدى ما تشتمل عليه هذه الانجازات من رصيد اخلاقي . فنظرية امرسون قد تنطبق على ابطال بعينهم ،

ونظرية كارليل قد تتناسب مع طبقة اخرى من الافذاذ الصناديد .

الحتمية والارادة الحرة

واذا كان علي أدهم يؤمن بحتمية حدوث بعض الوقائع الا انه لا ينكر حرية الارادة عند ابطاله . والارادة الحرة تنبثق من الذات وتتجه نحو الهدف لتحقيقه ، وترتبط قدرات البطل بارادته ونوع فعله ، فان الارادة بغير قدرات لا تعد شيئا ولا تصل الى نتيجة ، لذلك فأدهم يفيض في ذكر تضافر قوى العظماء ، وامكاناتهم في تحريك الاحداث لصالحهم ، وفي تحويل مسار الامور في اتجاههم . وقد بين في جلاء عزيمة عبد الرحمن الناصر وقوة ارادته في اخضاع زعماء الاسبان ، ومغالبة الفتن والثورات وتحقيق ارادته وادراك غايته والسمو الى عنان المجد والقمة .

وان القائلين بالحتمية التاريخية او بالحتمية الاجتماعية انما يلغون حرية الارادة عند الانسان او عند البطل التاريخي ، ويجعلونه يتصرف وفق معطيات تاريخية محددة ، وظروف اجتماعية معينة ، وكأنه لا يملك من امر نفسه شيئا ، وهذه الحتمية التي يقول بها الماديون تنكر على العظيم المسؤولية التي يضطلع بها ، وهؤلاء الماديون بما يذهبون اليه أنما يجافون الحقائق ويزيفون الوقائع الشاهدة بأثر البطل في الاحداث الكبرى التي تتطلب الارادة الحرة .

انواع البطولة

والاستاذ علي ادهم الذي كثرت دراساته للرجال الافذاذ ، واتسعت مداركه لهم ، وتنوعت معارفه عنهم ، حتى كأنه يعرفهم ، استطاع بألمعيته وثقافته التاريخية ان يميز بين عدة انواع من مشاهير القواد الذين اثروا في حركة التاريخ فنراه يفرق بين من يبني منهم ومن يهدم ، او يميز بين تقدير العظمة وتقدير القوة . وعنده ان العظيم من يترك الدنيا احسن حالا مما كانت عليه وفي هذا القول : « والقوة الروحية والامتياز الفكري هما اساس العظمة والبطولة الصادقة ، وفي بعض الاحيان تعد القوة الاخلاقية معيار العظمة » ومن خلال هذا المفهوم يتردد في اضفاء صفة البطولة والعظمة على رجل مثل تيمورلنك لانه ترك العالم بعده اسوأ مما كان عليه قبله . وفي هذا المجال يفصل ادهم بين نوعين اخرين من الرجال . رجال صنعوا التاريخ ووجهوا مسار احداثه ، ورجال صنعتهم الظروف وتسنموا مكانة عالية بغير جهد او عناء . او بين رجال اشادوا الصروح ورجال وجدوا الصروح مشيدة ، وكان ثناؤه وتقديره للكبار الصانعين وليس للصغار المصنوعين .

اجتهاد كاتب التراجم

ومما يجدر ذكره ان دواوين التاريخ وموسوعاته لا تحفل بكل دقيق وجليل عن عظيم من العظماء ، فانها قد تغفل الكثير من النقاط التي يراها المؤرخ القديم قليلة الاهمية ، او قد يفقد مرجع اساسي يشتمل على اخبار معينة عن بطل نترجم له . وهنا لا بد للمؤرخ الحديث او كاتب التراجم التاريخية من التخيل لاستظهار الخفايا ، وعلاج الموقف ، وايضاح الاحداث ، وعلي ادهم يعطي نفسه هذا الحق في وصف الصراعات الداخلية ، وتصوير التيارات الخفية في نفوس بعض شخصياته ، ولكنه لا ينأى عن الاطار العام للوقائع وشواهد التاريخ . وعلى سبيل المثال نقرأ في كتابه عن الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور قصة ابي مسلم الخراساني مع امير المؤمنين « ابي جعفر » والحوار النفسي الداخلي الذي دار في نفسي كل منهما . وبين اهمية كلمات ابي جعفر ومواقف ابي مسلم في انماء الصراع الذي دار بينهما حتى انتهى بمقتل الاخير . والكاتب النجيب بما له من يقظة الذهن ، وسمو الخيال ، والتفقه في فهم نفوس الابطال ما يجعله يفطن الى مفهوم كل اشارة ، ومدلول كل كلمة ولمحة ، فقد صور ادهم الجو النفسي الذي تمت فيه فصول هذه المأساة بدقة المؤرخ وذوق الاديب ، حقا انها صفحات تاريخية فنية نفسية في وقت واحد تحرك عقولنا وعواطفنا جميعا .

وان هذه السير التي نطالعها عن الابطال لا تمثلهم تماما ، لانها لا تسجل كل حركاتهم في حيواتهم ، ولا تتضمن طبيعتهم على الوجه الاكمل . وانما الكاتب يتطلع الى الكمال في تراجمه عندما يكتب عنهم بقدر ما تمده به المصادر التاريخية ، وبقدر ما تسعفه قريحته وخياله في سد الثغرات ، وجلاء الغوامض . او بعبارة اخرى ان ما يصوره كاتب الترجمة هو محاولة جادة للتعرف على سمات تلك الشخصيات ومقوماتها حسب ما يتوسم وما يتصور وتراجم علي ادهم يحاول فيها ان يضع البطل في منظوره السليم ، وفي موقعه الخليق بان يوضع فيه ، والسير التي دبجها عامرة بالحياة الانسانية في نواحيها المتعددة ، فلم يقف عند المحاسن فقط ، بل صور الاشخاص بما كانوا عليه من ضعف وقدرة ، ونقص وكمال . وفي ترجمته للخليفة عبد الرحمن الناصر يذكر قصته مع جاريته وقد اسرف في الشراب ذات ليلة واكثر في تقبيلها فتبرمت وتضجرت فأغضبه هذا « فأمر الا يزال وجهها يلثم بألسنة الشمع وهي تستغيث فلا يرحمها حتى هلكت » وعلي ادهم ينتقد في شدة الذين يصرفون النظر عن نواحي النقص في شخصيات العظماء ويرى ان الحقيقة بجمالها احق واولى .

وخلاصة القول في تراجم علي ادهم انه كانت تسيطر عليها روح الصدق والامانة ، والاعتدال في الراي ، والاتزان في القصد . وهي مقومات لازمة في كتب التراجم وكتابها .

١ – الاستاذ علي ادهم من كبار الكتاب المعاصرين ، واحد الشوامخ البارزين في الحركة الفكرية ، وكان لاتقانه اللغة الانجليزية والمامه باللغة الفرنسية اكبر الاثر في تعريف القارىء الشرقي بآداب

سحرية الأهداب

يا حلمي النشوان ، يا ارجا ... لولاه لم يتاود الزهر
في ثغرك الاغداق مختصر ... وبهبك الاشراق مختصر
ان تبسمي يزك الربيع شذى ... او تنظري، ينهد لك الطهر
ولانت، في دنياي ، اغنية ... ينساب في افيائها السحر
لا تذبل الايام نضرتها ... من قال : يذبل خافق بكر
سحرية الاهداب، في شفتي ... بعض الذي يشتاقه الفجر
بي ثغرك المجنون، بي حرق ... من خصرك الوثني، بي سكر
بي انت، يا انت التي خطرت ... فالارض زهر ، والحصى در
ولرب ليل جاء مرتجلا ... ما لا تحب الانجم الزهر
وسالتني ، والهدب منكسر ... ايموت في نسيانه العطر
ونثرت در الدمع، فارتعشت ... فوق الورود لآلىء سمر
اشجاك ان الورد مكتئب ... في الوجنتين ؟ وهالك الامر
سر ، انا الانثى تفتقه ... لله كيف يفتق السر
حتى اذا ما قبلتي رشفت ... ما افتر عنه ثغرك الحر
مات السؤال ، فكل خاطرة ... في كرمها من حبنا قطر

فوزي عطوي

الغرب ، فنقل اليه ما كان ينقصه منها ، هذا غير استيعابه للثقافة الادبية العربية متمثلة في شعرائها الممتازين ، وللحضارة الاسلامية في مظاهرها العديدة ، فجمع بين التالد والطريف ، وبين الادب والتاريخ، فامتزجت في مؤلفاته افكار الاوربيين بثقافة الشرقيين ، والتقى في كتبه القديم والحديث .

ولد علي ادهم في الاسكندرية في ١٩ يونيه ١٨٩٧ وتلقى العلم في عدة مدارس بالاسكندرية والقاهرة ، ونال شهادة البكالوريا ، وعمل موظفا بجمارك الاسكندرية ، ونشر اوائل بحوثه في مجلة « البيان » التي كان يصدرها الشيخ عبد الرحمن البرقوقي ثم والى نشر مقالاته في مجلة الرجاء والهلال والمقتطف والثقافة ثم انتقل الى وزارة المعارف عام ١٩٢٤ وظل بها حتى احيل الى المعاش عام ١٩٥٧ .

وقد ساهم علي ادهم في النشاط الثقافي بقدر كبير ، فالف وترجم ما يقرب من ثلاثين كتابا في كل نواحي المعرفة ، ومن مؤلفاته : « نظرات في الحياة والمجتمع » « لماذا يشقى الانسان » « الجمعيات السرية » « تلاقي الاكفاء » « شخصيات تاريخية » « صور تاريخية » « صور ادبية » « على هامش الادب والنقد » هذا عدا تراجمه للعظماء ومئات المقالات في مختلف الدوريات . وقد فارق الحياة في الثامن من يناير عام ١٩٨١ . رحمه الله رحمة واسعة .

٢ ـ تراث الانسانية المجلد الاول .

٣ ـ كتاب « ما هو التاريخ » لادوارد كار وترجمة ماهر كيالي .

٤ ـ مجلة « العربي » عدد يناير ١٩٧٥ .

٥ ـ المجلد الثالث من تراث الانسانية .

القاهرة ... احمد حسين الطماوي



وديع فلسطين

موكب الراحلين في عام

بقلم وديع فلسطين

* * *

انتهى عام ١٩٨١ وفي احشائه نهايات طائفة غير قليلة من رجال الفكر والقلم تفاوتت حظوظهم في الدنيا واصبحت آثارهم في ذمة الضمير الادبي .

ومن غريب التصاريف ان اثنين من كبار المتتبعين لاخبار وفيات الادباء كانا من جملة المحصودين في العام الفارط . ففي اوله غاب وجه يوسف اسعد داغر اعظم من خدم فن الببلوغرافيا الادبية في الضاد ، وفي آخره غادرنا نجيب العقيقي الطويل الباع في التراجم الادبية العربية والغربية . ومن مكرمات السماء علي انني عرفت هذا بذاك ودللت واحدهما على الاخر ، وان كان كلاهما لبنانيا .

ولكثرة ما اتلقاه من استفسارات عمن ذهب وعمن تخلف من الادباء ـ ولا سيما بعدما تقطعت اوصال امة الضاد واختلطت حقائقها بزيوفها ـ فاني مورد هنا بيانا بالادباء الذين رحلوا في العام الذي انفرط عقده ، وتاريخ وفاة كل منهم وهي منقولة من صفحة المناعي ـ اصدق صفحات صحفنا السيارة .

العلامة المفهرس يوسف اسعد داغر ـ توفي في اول يناير .

الصحفي محمد رشاد الشبرابخومي ـ توفي في ٦ يناير .

الفقيه القانوني الدكتور زهير جرانة ـ توفي في ٧ يناير .

صفي العقاد الكاتب الكبير علي ادهم ـ توفي في ٨ يناير .

شاعر آل البيت محمود جبر ـ توفي في ١٠ يناير .

العلامة المحقق الكبير محمد ابو الفضل ابراهيم ـ توفي في ١١ يناير .

السفير ابراهيم امين غالي ، وله طائفة من المؤلفات والمترجمات ـ توفي في ٢٦ يناير .

الصحفي رشيد خوري ـ توفي حزنا على ابنته الصحفية النابهة التي اجهزت على حياتها بيديها جاكلين خوري ، وكانت وفاته في ٤ فبراير .

العلامة المحقق عبد الستار فراج ـ توفي في الكويت في ١٦ فبراير .

عبد العزيز سيد الاهل ـ توفي في اول مارس .

الصحفي حامد عبد العزيز ـ توفي في ٩ مارس .

الشاعر القاص المهجري الياس قنصل ـ توفي في الارجنتين في ٢٠ مارس .

الدكتور نجيب فرح ، الطبيب البحاثة في مرض السرطان ـ توفي في الاسكندرية في ٢٢ مارس .

الشاعر والبحاثة الفولكلوري محمد فوزي العنتيل ـ توفي في ١٢ مايو .

العلامة الازهري الشيخ ابو الوفا مصطفى المراغي ـ توفي في ٢٢ مايو .

الشاعر الغنائي الكبير احمد رامي ـ توفي في ٤ يونيو

شاعر البلاط السعودي الشيخ احمد بن ابراهيم الغزاوي ـ توفي في شهر مايو ولا اعرف اليوم على وجه التحديد .

العالم الزراعي الدكتور عبد الله زين العابدين (زوج الكاتبة امينة السعيد) ـ توفي في ٢٣ يونيو .

العالم الازهري الشيخ عبد الجليل عيسى ـ توفي في ٢ يوليو .

المربي الجليل محمد عطية الابراشي ـ توفي في ١٧ يوليو .

صاحب « العرفان » نزار الزين ـ توفي في يوليو ولم استطع التحقق من اليوم الذي وقعت فيه الوفاة .

العلامة المعجمي محمد العدناني ـ توفي في ٥ اغسطس.

الشاعر صلاح عبد الصبور ـ توفي في ١٤ اغسطس.

الشاعر الكبير بدوي الجبل ـ توفي في ١٩ اغسطس.

الدكتور ابراهيم جمعة ـ توفي في ٢٠ اغسطس

بوح الشفاه

طلعت علي كمطلع الشمس	فانجاب عني غيهب النحس
تبدو الحياة كانها مقل	لم تكتحل بأسى ولا بؤس
حسناء في وهج السنى اتشحت	وتميزت برهافة الحس
ترف الصبا يزهو بقامتها	وتارجحت بنعومة اللمس
اضمامة من زهر رابية	ماجت بنفح الطهر والقدس
ارج الصبابة نشه فمها	فنسيت ما كابدت بالامس
ورنت الي فغاب عن نظري	شبح من الاحزان والياس
بحر الحنان طفى بمهجتها	فتحدرت في موجه نفسي
يستاف ثغري طيب مرشفها	فاطوف في دنيا من العرس
قد اسكرت روحي الشقية اذ	فاضت بخمرة حبها كاسي
هبة السماء ويالها هبة	اضفت علي مباهج الانس
فدعوا الملامة قد شغفت بها	حبا سما عن نزوة الرجس

بغداد — خضر عباس الصالحي

الدكتور محمد حسن فايد (المدير السابق لجامعة الازهر) – توفي في ١١ سبتمبر .

الناشر للكتب الدينية وصاحب « الفرقان » محمد محمد عبد اللطيف المكنى « بابن الخطيب » (وهو زوج المحامية مفيدة عبد الرحمن) – توفي في ٢٤ سبتمبر .

الصحفي طلعت يونان – توفي في ٢٤ سبتمبر .

الصحفي المشرقي عزيز لاوندي – توفي في واشنطن في ٢٥ سبتمبر .

المدير الاسبق لادارة الترجمة بوزارة المعارف فؤاد اندراوس – توفي في لندن ونشر نعيه في الصحف في ١٥ اكتوبر .

الشاعر السوري عمر ابو قوس – توفي على الاغلب في اكتوبر ولم استطع التحقق من اليوم .

الاديب الحجازي عبد السلام طاهر الساسي – توفي في ٢٢ اكتوبر .

الدكتور يعقوب خوري – وله دراسات ومؤلفات بالعربية والفرنسية عن قضية فلسطين – توفي في ١٢ نوفمبر .

الدكتور طاهر درويش – الاستاذ بكلية دار العلوم – توفي في ٢٨ نوفمبر .

الكاتب الساخر محمد عفيفي – توفي في ٥ ديسمبر .

طبيب القلب المشهور الدكتور محمد ابراهيم – توفي في ٧ ديسمبر .

المؤرخ الجزائري محمود علي دبوز – قرات نعيه في صحف مصر في ١٢ ديسمبر .

استاذ القانون الدولي الدكتور عبد الله العريان – توفي في هولندا حيث يعمل قاضيا في محكمة العدل الدولية في ١٢ ديسمبر .

نجيب العقيقي ، صاحب « المستشرقون » و« الادب المقارن » – توفي في ٢٤ ديسمبر .

الصحفي المصري فتحي خليل – توفي في بغداد في ٢٧ ديسمبر .

الاديبة ايمي خير صديقة « مي » وموضع سرها – توفيت في ٢٩ ديسمبر .

القاص حسين القباني – لم ينشر له نعي في الصحف والارجح انه توفي في ٣١ ديسمبر .

فان كان قد فاتني شيء ، فاهلا بالمستدركين لكل فوات .

مصر الجديدة – ٦ شارع الامام علي — وديع فلسطين

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

(١)

الدكتور يوسف مصطفى القاضي ـ مناهــج البحـوث وكتابتها ، دار المريخ للنشر ، بالرياض ، دار الجيل للطباعة بالقاهرة ١٣٩٩ ـ ١٩٧٠ ، ٢٣١ ص .

١ ـ ص ٢٠ « الترمزي » الصحيح الترمذي ـ وهو من الخطأ الذي يقع فيه الطباع المصري اذ يكتب ما يلفظ فتأتي الذال زايا ، ومثـل المصري السـوري والحجازي ...

٢ ـ ص ٢٨ « يتوجه الى مكان تواجد النبات الذي سيدرسه »

كلمة « التواجد » بهذا المعنى ليست فصيحة وهي مما شاع في العصر الحديث ، وربما في النصف الثاني من القرن العشرين ، (واول مـا سمعتها في الرياض خـلال الستينيات ، ولعلها وردت من مصر ، لعلها) .

الصحيح : يتوجه الى حيث يوجد النبات ، او الى المكان الذي يوجد فيه النبات ..

واستعمال التواجد لا يليق بالكتب ..

٣ ـ ص ٣٢ « ابن البيطاري » : ابن البيطار .

٤ ـ ص ٣٤ من الخطأ المطبعي اتتدع : ابتـدع ، ص ٤٩ بحديد : تحديد ، وتنظر ص ٢٠٥ .

٥ ـ ص ٧٠ ان الاول معدا ومقررا الصحيـح : معد ومقرر .

٦ ـ ص ٧٣ « هي .. لا تتطلب الوقت والجهـد الكبيرين اللذان تتطلبهما الرسالة » الصحيح : اللذين .

كان هذا في كلامه على « الطريحة » ويا حبـذا لو وضع مقابلها باللغة الانكليزية لنعرف قصده اكثر .

٧ ـ ص ٩ التذيل Footnotes

ص ١٢٧ التذييل ״ ، ص ١٣٥ التذييل التذييل او الحاشية ، التذييل ١٤٢ ـ الكلمة الانكليزيـة واحدة والمفروض ان يتوحد مقابلها باللغة العربية .

٩ ـ ص ١٧٩ « ارجو مراجعة بعض المراجع في علم المكتبات »

وفي الذيل : « للمؤلف مرجع جيد في علم المكتبات » وليس المفروض بالمؤلف ان يثني على كتابه ..

١٠ ـ ص ٢١٤ « ويستعملان ليضمان عبـارات التفسير .. »

الصحيح : ليضما ، ومثلها في السطر الثامن مـن الصفحة نفسها .

(٢)

طرق البحث العلمي في التاريخ والاثار تأليــف طه باقر والدكتور عبد العزيز حميد ، بغداد ، وزارة التعليم العالي مطابع مؤسسة دار الكتب في جامعة الموصل ١٤٠٠ـ١٩٨٠ ٢٠٣ ص

١ ـ طرق ، هكذا شاعت وانتشرت وفرضت نفسها وان كان الصحيح طرائق .

٢ ـ من الفوائد ص ٧ « تعني كلمة التاريخ العربية تحديد الزمن . من مادة « أرخ يؤرخ » التي ترجع في اصلها الى كلمة « ارخ » او « ورخ » التي تعني الشهر في اللغات العربية القديمة (السامية) .. وعرف الاله القمر في جنوبي الجزيرة العربية باسم « ورخ » .. »

٣ ـ ص ٢٩ « ان احدهم لو اتمن على بيت مال لكان به امينا » أؤتمن .

٤ ـ ص ٣٦ « الدنيوري في مصنفه الشهير الاخبار الطوال » : الصحيح الدينوري ، ولا بد من عزو ذلك الى الخطأ المطبعي .

٥ ـ ص ٣٧ « كلما كان الراوي شاهد عيان كلما كان اميل الى التصديق من غيره » ـ لا بد من حـذف « كلما » الثانية في التعبير العربي السليم .

٦ ـ ص ٤٠ « كتاب السيوطي .. طبقات اللغويين والنحات »

أ ـ صحيح النحات : النحاة .

ب ـ اسم كتاب السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة .

٧ ـ ص ٤٢ « في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ظهر ما يعرف في تاريخ اوربة باسم النهضة .. وقد بدات هذه النهضة في دويلات المدن الايطالية الشمالية الشهيرة مثل البندية وجنوا وغيرها » .

لا معدى من ذكر فلورنسة .

٨ ـ ص ٤٢ « فعمت في اوربة تلك الحركة المعروفة بمصطلح الانسانيات .. »

المشهور في اسمها : الحركة الانسانية . وكذا ترجمت وشاعت في العربية الحديثة .

٩ ـ ص ٤٢ ـ ٤٥ « فولتير .. كتابه عن تاريخ عرب المغرب المعنون Essai sur les Maeurs (١٧٥٦) الذي انصف العرب واشاد بفضلهم في نقل الحضارة الى

اوربة »

ليس لفولتير كتاب خاص بتاريخ المغرب . والعنوان الذي يذكره هنا – له – المؤلفان لا يوصل الى حكمهما ، لان ترجمته الحرفية : مقال في التقاليد الحرفية : مقال في التقاليد . ولا بأس في ان نتصرف في الترجمة فنقول : مقال في الحضارة . وليلاحظ ان العنوان الاصلي الكامل هو : « مقال في التقاليد وروح الشعوب واحداث التاريخ الرئيسة منذ شارلمان حتى لويس الثالث عشر »

الفه فولتير استجابة لطلب المركيزة شاتله التي قصدت الى دليل دائم لقراءة التاريخ الحديث من غير جهد فكان الطلب فرصة لفولتير يفسر فيها التاريخ في ضوء العقل الخالد ، ولم يقم التاريخ على مراحل سياسية ولم يمجد الحروب او الابطال ، قدر تمجيده الحضارة ، لانه كان يريد ان يري خلال الفوضى العامة حبا للنظام ينعش الجنس البشري ويؤدي في تدرج وبطء الى المعرفة العقلية الكاملة .

الاثر موجز .. وعني فيه – الى جوار ما عني – بتاريخ الشرق .

الخلاصة ان فولتير لم يؤلف كتابا خاصا عن تاريخ عرب المغرب ، وفرق بين Mœurs التي تعني التقاليد والعادات و Maures التي تعني المغاربة .

١٠ – من مصادر الكتاب العربية ص ١٩٨ « حسين محمد عبد الغني : علم التاريخ عند العرب (القاهرة ١٩٥٤) »

الصحيح : حسن ، محمد عبد الغني ..

١١ – الكتاب مقسم الى اربعة ابواب ، والابواب مقسمة كلها الى احد عشر فصلا .. متصلة التسلسل ١، ٢، ٣، ... ١١ على الرغم من اعتراض الابواب . والمناسب – بل الصحيح ، الواجب في كتاب يعلم طرائق البحث والتأليف ان يشمل الباب الواحد فصولا معينة ينتهي تسلسلها بانتهاء الباب . هكذا : الباب الاول ، الفصل الاول ، الثاني ، الباب الثاني ، الفصل الاول ، الثاني ، الثالث . الباب الثالث ، الفصل الاول ، الثاني . الباب الرابع ، الفصل الاول ، الثاني ، الثالث ، الرابع .

(٢)

مناهج البحث في الادب المقارن – شوقي السكري ص ١١ – ٤٠ من مجلة عالم الفكر (مجلة دورية تصدر كل ثلاثة اشهر عن وزارة الاعلام في الكويت) ، اكتوبر ، نوفمبر ديسمبر ، المجلد الحادي عشر – العدد الثالث (خاص بالأدب المقارن) ١٩٨٠

١ – ص ١٦ « اول من قسم الشعر الى انواع او اجناس هو المعلم الاول ارسطو .. وفي كتابه عن الشعر نجده يفرق بين الملحمة والتراجيديا »

لم يكن ارسطو اول من قسم الشعر الى انواع او اجناس ، لانه نشأ فوجد الشعر مقسما الى انواع او اجناس ، والمواطنون له يعرفون ذلك وراثة اجتماعية لان الانواع او الاجناس حقيقة قائمة في الحياة اليومية فهناك الملحمة وهناك التراجيديا .. فضلا عن القصيدة الغنائية والكوميديا . والشعر التعليمي

ومن يقرأ افلاطون ، يجد هذه الانواع او الاجناس ، مصطلحا قائما ما به حاجة الى تحديد او تعريف .

اما ارسطو ، او كتاب ارسطو فهو اقدم ما وصل الينا وفيه التفريق بين الانواع (الملحمة ، التراجيديا) على هذا الوجه من المنهجية والتوسع .. وفي هذا فضل الرجل . وقد تكون في الفروق وجهات نظر خاصة

لم يكن ارسطو – اذن – اول من قسم الشعر الى انواع . ولكن ..

٢ – ص ١٩ « سومرست موام » : سومرست موم

٣ – ص ٢٠ « والحركة الادبية ، التي تعتبر مدينة لعلم النفس بشكل مباشر صريح ، هي الحركة السريالية التي اسسها اندريه بريتون.. اثناء الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) بعد ان قابل فرويد في مدينة فينا » .

اما ان اندريه بريتون مؤسس السريالية فهذا هو المقبول ، ومعه اخرون . ولكن تاريخ (١٩١٤ – ١٩١٨) تاريخ مضلل هنا . وصحيح جدا انه تاريخ ما بين بدء الحرب وانتهائها . ولكنه ليس تاريخا للسريالية . ولا بد من الوقوف من تاريخ السريالية عند وجهين ، الاول الحركة الدادائية (حوالي سنة ١٩١٦) وابرز اسم يذكر فيها تريستان تزارا وقد انضم اليها اندريه بريتون ، ولم يكن مؤسسا .

اما السريالية فبدؤها بعد ذلك ، حوالي عام ١٩١٩، وقد حملت الاسم (السريالية) رسميا سنة ١٩٢٤ ..

٤ – ص ٢٣ « وفي عصر النهضة الاوربية تم ايضا وضع الاساس لعلم البلاغة وتم تطويره الى علم النقد وخاصة على يد الناقد الفرنسي تين .. الذي اكد على اهمية الزمان والمكان والبيئة والناقد الفرنسي لانسون .. الذي اكد على اهمية النص ذاته . وقد شهد العصر الحالي تيارات نقدية تدفع بالقارىء بعيدا عن النص الادبي » .

معلوم ان عصر النهضة (في ايطاليا) في القرن الرابع عشر ، وفي فرنسا في السادس عشر .. وجاءت عبارات الكاتب وكأن تين ولانسون من ابناء عصر النهضة ، وذلك غير صحيح ، والمؤلف يعرف ذلك ، ولكن التعبير يوهم به ويمكن ان يقع في الخطأ القارىء « العادي » .

والا فان تين من القرن التاسع عشر (١٨٢٨–١٨٩٣)

ولانسون من القرن التاسع عشر – العشرين (١٨٥٧ – ١٩٣٤) .

هذا وقوله تين « الذي اكد على اهمية الزمان والمكان والبيئة » ملتبس ايضا لان المكان والبيئة متقاربان ان لم يكونا شيئا واحدا ولا سيما لدى الرجوع الى

المصطلح الفرنسي الذي نترجم عنه .

صحيح يؤكد على اهمية : يؤكد اهمية .

وصحيح الزمان والمكان والبيئة : الزمان والمكان (البيئة) والجنس (العنصر) - تنظر ص ٢٤ .

٥ - تتكرر ص ٢٥ وغيرها « ما ان حلت » « ما ان جاءت » بفتح همزة أن ، والصحيح كسرها .

٦ - ورد في البحث اسماء « كتب » مهمة في بابها ، ذكرها الكاتب في لغتها الام ، وقد يكون نافعا ان نشير الى ان بينها ما ترجم الى العربية ، ففي هذا ما ينفع القارىء العربي ، ومن ذلك :

الادب المقارن لفانتيم .

الادب المقارن لجويار - وقد قدم له كاره .

ازمة الضمير لبول هازار .

نظرية الادب لرينه ولك واوستن وارين .

٧ - ما اجدر ان يوسع الاستاذ الفاضل (شوقي السكري) بحثه ويحوله الى كتاب ليزداد نفعه ويسهل تناوله ، وتملأ ثغراته ويتوضح جوهر الادب المقارن .

(٤)

مع المذيعين في لغتهم

١ - في رابعة النهار : والصحيح في رائعة النهار .

٢ - اشتغل فلان المنصب الفلاني اشغالا : والصواب شغل المنصب شغلا (بفتح الشين) .

٣ - يلفظون القوى (بكسر القاف) والصحيح : ضمها (القوى) .

٤ - ويقولون حلقة (بفتح اللام) والصحيح : السكون (حلقة) .

٥ - ويقولون هراوة (بفتح الهاء) والصواب : هراوة (بكسرها) وكذلك جمعها هراوات (بكسر الهاء) .

٦ - ويقولون عمل بفتح الميم والصواب عمل بكسرها

٧ - ويقولون يحفل ، محفل بفتح الفاء والصواب : يحفل ، محفل بالكسر .

٨ - ويضطربون من عمد يعمد ، في حركة الميم في الماضي والمضارع ، والصواب : عمد ، بفتح الميم ، ويعمد المضارع بكسرها .

٩ - اما هرع فبضم الهاء وكسر الراء ، ويهرع بضم ياء المضارعة وفتح الراء - على ما لم يسم فاعله .

١٠ - ومنهم من يخطىء في لفظ ١٠٠ ، ٢٠٠ ، ٣٠٠ عندما يراها مكتوبة هكذا : مائة ، مائتين ، ثلاثمائة ، فيقول ماءة ، ماءتين ، ثلاثماءة . وقد يكون الانسب في هذه الحال ان نعدل من طريقة رسم الكلمات فنكتبها هكذا : مئة ، مئتان ، ثلاثمئة (او ثلاث مئة) .

(٥)

الرواية الانجليزية المترجمة الى العربية ١٩٤٠ - ١٩٧٣ - الدكتورة انجيل بطرس سمعان استاذة بقسم اللغة الانكليزية - كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، ص ٤١ - ٨٤ من مجلة عالم الفكر (دورية تصدر كل ثلاثة اشهر عن وزارة الاعلام في الكويت) اكتوبر - نوفمبر - ديسمبر المجلد الحادي عشر - العدد الثالث (خاص بالادب المقارن) ١٩٨٠

عملت الكاتبة قائمة ودراسة لما بين ١٨٨٠ - ١٩٢٥، وما بين ١٩٤٠ - ١٩٧٣ .

١ - العنوان غير دقيق ، لان الكاتبة اقتصرت على الترجمة في قطر عربي واحد هو مصر ، ولذا وجب ان يكون : « الرواية الانجليزية المترجمة الى العربية في مصر »

٢ - جاء ص ٤٧ « هيئة التأليف والترجمة والنشر » الصحيح : لجنة ..

٣ - وجاء ص ٤٧ ، ٤٨ « دار الكاتب العربي » ، الصحيح : دار الكاتب المصري .

٤ - ص ٤٨ « العالم الطريف الجديد » ترجمها الاستاذ محمود محمود في سنة ١٩٤٧ : الصحيح العالم الطريف فقط ترجمها الاستاذ محمود محمود ، وورد اسم الرواية صحيحا ص ٨١ ، وورد المترجم محمد محمود ، وصحيحه محمود محمود .

٥ - تحدثت عن روايات الهلال ص ٤٨ مثلا وكان المناسب أن تذكر ان « السائد » في ترجمات الهلال الاختصار ، وتضرب الامثلة (مغامرات مستر بيكويك ، اليفر تويست ..) .

٦ - ص ٥٦ « فيكتور هوجو وجان جاك روسو .. كانوا من اوائل من ترجم من الروائيين الفرنسيين الى العربية » .

أ - كانوا : كانا .

ب - ما الذي ترجم لجان جاك روسو ؟ انه روائي برواية واحدة هي « ايلوئيز الجديدة » فهل ترجمت هذه ؟ لا احسب ذلك ، لقد ترجم الزيات فصولا منها وفي زمن بعد متأخرا .

٧ - ص ٧٤ « سكوت ، والتر - الطلسم : لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨ » .

أ - لم تذكر الكاتبة اسم المترجم وهو « محمود محمود محمد خريج جامعة اكستر بانكلترا » .

ب - تاريخ مقدمة المترجم ١٩٣٧ ، وتاريخ المطبعة ١٩٣٨ ، وقد كانت الترجمة « العدد الثاني » من سلسلة « عيون الادب الغربي » ، وجاء اسم المؤلف « سير ولتر سكت » ووردت « تعريب » بدل ترجمة - تلك فوائد للقارىء والدراسة .

٨ - ص ٨١ « تس سليلة دريدفيل » من مؤلفات هاردي ، توماس ، ترجمة « فخري ابو السعود ، الالف كتاب ١٩٦١ » .

الحقيقة ان هذه طبعة ثانية ، وكانت الطبعة الاولى في سلسلة « عيون الادب الغربي » الصادرة عن لجنة التأليف والترجمة والنشر ، العدد الاول ١٩٣٨ .

٩ ـ كان المناسب ان تبين الاستاذة الفاضلة طبيعة الترجمة في « روايات الجيب » وقد « اغرقنا » عمر عبد العزيز امين بها ، وكذلك الشأن في ضرورة بيان طبيعة الترجمة في سلسلة « اولادنا » التي تقوم ـ غالبا ـ على الاختصار والتبني اكثر مما تقوم على الامانة في الترجمة . اما ترجمات كامل كيلاني فهي ـ عادة ـ اعادة تأليف والملاحظ على « عيون الادب الغربي » غلبة ـ او طغيان ـ الانكليزية .

١٠ ـ نامل ان تدرس ـ لنا ـ الاستاذة الفاضلة المرحلة التالية لعام ١٩٧٣ من ترجمة الرواية الانكليزية الى العربية في مصر . ويتولى اخرون دراسة الترجمة هذه في اقطار اخرى ولا سيما لبنان . وسيرى الدارس ان لبنان اعادت طبع كثير من روايات الهلال ، كما سيرى مترجمين وهميين ، واسماء لا تعرف اللغة التي تترجم عنها ، مع احترام خاص لمترجمين من طراز منير بعلبكي .. ولا شك في ان من « يفهرس » للرواية الفرنسية يلقى تعبا اكثر ويرى عجبا اكبر في لبنان .

ولا بد من معجم اخر للرواية الروسية المترجمة الى العربية ، ولن يعدم الدارس ان يرى مترجما الى العربية في لبنان لا يعرف لغة اجنبية .. ومع الروسية ترد الفهرسة للرواية السوفيتية .

لقد آن اوان هذه المعجمات خدمة للباحث ، واستدراكا للفائت واحتياطا للمستقبل .

ثم لم لا نفهرس (او نعجم) للمسرحية المترجمة ؟!

ولي مشروع صغير يقوم على معجم لمجموعات من القصة القصيرة المترجمة .

يحسن نشر هذه المعجمات ـ اولا ـ في المجلات المتخصصة ليمكن سد ثغراتها والتنبيه على فواتها .

ثم تجمع هذه المعجمات الجزئية في معجم كلي .. يكون مرجعا امينا للدارس من كل نوع ، ودارس الادب المقارن على وجه الخصوص .

١١ ـ ص ٤٨، ٨٣ « طعام الالهة » .. في الترجمة العربية ، العنوان الكامل : « طعام الالهة وكيف جاء الى الارض » فمن اين جاءت هذه الزيادة ؟ ولماذا ؟

١٢ ـ هناك روايات مترجمة الى العربية (بمصر) لم تدخل في البحث ، وقع بيدي منها : في سلسلة روايات الجيب : « الشرك بقلم الكاتب الانجليزي روفاييل ساباتيني ، ترجمة عباس حافظ ، مطابع الاهرام ١٩٧٠ » ـ والا ، حسن التعليق بعد الذكر .

١٣ ـ ولاحظت ان الكاتبة الفاضلة لم ترجع ـ في مصادرها ـ الى كتاب « جامع التصانيف الحديثة » تأليف يوسف اليان سركيس الدمشقي ، القاهرة ، مكتبة يوسف اليان سركيس ، المطبعة العربية لصاحبها خيرالدين الزركلي ١٣٤٥ ـ ١٩٢٧ » في الجزء الاول مطبوعات ١٩٢٠ ـ ١٩٢٦ ـ ١٣٣٩ ـ ١٣٤٥ . ومما لاحظته فيه مما يدخل في موضوعنا :

روايات لم ترد على قلم الكاتبة الفاضلة ، وكان مناسبا ان ترد ، ولا بأس ، بعد ذلك ، بالتعليق المناسب ، ومن هذه :

ا ـ ابن الشيخ او غرام في الصحراء ، تعريب عمر عبد العزيز عن مؤلفه اديت مودهول ١٩٢٦ ص ٢٩٢ ـ ورد ذلك على ص ١٢٥ من جامع التصانيف .

ب ـ « ضحايا الكوكايين قصة مترجمة عن مؤلفة انكليزية بقلم محمود صادق سيف وسليم خوري صاحب مجلة الروايات المصورة ، ص ٢٦٤ » .

ج ـ « كنلورث تأليف ولتر سكوت تعريب عمر عبد العزيز امين مطر ، ١٩٢٦ » .

د ـ « المملوك المفقود ، قصة انكليزية تصف حالة مصر في اواخر القرن الثامن عشر ايام المماليك ترجمة احمد افندي ابو الخير ص ٤٤٤ » .

وورد في هذا الجزء (الاول) من جامع التصانيف ، بين المؤلفين اسم : شارلس جارفس . وكان من آثاره :

ا ـ « ازمرلدا ـ تأليف المستر شارلس جارفس ، تعريب محمد علي ، نشرت تباعا في جريدة الاهرام . مط. التقدم ١٩٢٦ ـ ١٣٤٥ ، ج ٢ » .

ب ـ « ملاكي الحارس او المصورة الحسناء تأليف المستر شارلس جارفس ، تعريب محمد علي ، مط. التقدم ١٩٢٦ ـ ص ٣٢٠ » .

ومما يلاحظ ان الكاتبة الفاضلة عرضت لاسم « جارفيس » ص ٢٦ وقالت في الحاشية « من المعروف ان له بعض الترجمات ولكن نظرا لتعذر التحقق من العناوين الانكليزية المترجمة فقد حذف من البيلوغرافيا ادناه » .

واقول ان هذا الحذف غير صحيح ، ويحسن ان يذكر ما ترجم له باسمه العربي الذي ورد عليه ليعلم القارىء بالترجمة اولا ، وليحاول ، من يقدر ايجاد الاصل ثانيا ، ولا يستحيل على الكاتبة الفاضلة العثور على الاصل ، ثالثا ، بالرجوع الى احداث القصة ، ولم يكن اسم ازمرلدا مما يصعب تحديد الرواية به .

وفي الجزء الاول من جامع التصانيف روايات وردت لدى المؤلفة الفاضلة ولكن « الجامع » يزيد فوائد جديرة بالذكر .. او المناقشة :

ا ـ ورد على ص ٦٤ من المقالة :

كوريللي ، ماري : « الانتقام العادل » محمد السباعي ١٩٠٩ .

وورد في الجزء الاول من جامع التصانيف :

« الانتقام العذب ، تأليف الكاتبة الانكليزية داري كورلي تعريب اسعد افندي خليل داغر »

ب ـ وورد على ص ٦٤ من المقالة :

ستيفنسون .. « جزيرة الكنز : رياض رزق الله واحمد صادق ١٩٢١ » ، وينظر هامش ص ٧٣ .

وورد في الجزء الاول من جامع التصانيف :

« جزيرة الكنز ، معربة عن الانكليزية بقلم رزق الله شمس واحمد صادق ، مط. الهلال ١٩٢١ ص ٢٠٤ » .

ج ـ وورد على ص ٦٤ من المقالة : « ديفو ، دانيال: روبنسون كروزو ، احمد علي عباس ١٩٢٣ » .

وورد في جامع التصانيف : « حياة روبنسن كروزي ومخاطراته ، ترجمة احمد علي عباس خريـج جامعـة اكسفرد ومدرس التربية بمدرسة دار العلوم بمصر ، مط. النهضة ، ١٣٣٤ ـ ١٩٢٣ ص ٣٤٠ »

وورد على ص ٦٤ من المقالة : « ديكنز ، تشارلز ، الثورة الفرنسية او قصة المدينتين ، محمـد السباعي ١٩١٢ » وفي جامع التصانيف : « قصة المدينتين تأليف شارل ديكنز ترجمها محمـد السباعي ، مط. التقـدم ١٩٢٤ ، جزء ٢ ، ص ٤٠٠ و٣٦١ » .

ومما وجدت في الجزء الثاني من جامع التصانيـف الحديثة : ص ٢٥ « الاميرة المصرية او فتح مصر القديمة ، ترجمها عن الانكليزية الاستاذ احمد فهمي ابو الخير . وهي تمثل دخول الفرس في مصر في عهد الملك ابسامتيك ـ اعيد طبعه في ص ٥١. » ـ وكان مناسبا ان تعرفنا الكاتبة الفاضلة مكان هذا الاثر من بحثهاـ سلبا او ايجابا .

١٣ ـ وعلى ذكر اسعد خليل داغر نرجع الى كتاب يوسف اسعد داغر : مصادر الدراسة الادبية، الجزء الثاني بيروت ١٩٥٦ فنجد له ترجمة وتعريفا بالاثار ص ٣٥١ ـ ٣٦٠ ويذكر له الرواية التي ذكرناها هكذا : « الانتقـام العذب ، (تأليف الكاتب الانكليزي كورلي) ـ مصر ١٩٢٥، ص ٣٠٦ » ويذكر له مترجمات اخرى كان يمكن ان تفيد منها الاستاذة الكاتبة لو وقفت عليها . وفي اعلان عن هذه الرواية في كتاب من مطبوعات المكتبة العصرية ـ القاهـرة انها « احسن رواية نقدمها لقراء مطبوعاتنا في شهر فبراير ١٩٢٥ ـ الاعلان في الجزء الاول من كتاب نقولا الحـداد (علم الاجتماع) ، وصاحب المكتبة العصريـة هو الياس انطون الياس .

لقد كان مناسبا ان تقف على هذا المصدر (اي كتاب يوسف ..) ففيه الكثير مما ترجم ، وبين هذا الكثـير ما كان قصصا . ونذكر من اعلام الكتاب نقـولا الياس الحداد ص ٣٠٤ ـ ٣٠٩ ، ثم تنظر الاجزاء الاخرى بعده .

وفهارس « دار الكتب » المصرية ، وقوائـم دور النشر والتوزيع ، والاتصال المباشر بمن هو حي من المترجمين والناشرين ..

١٤ ـ تجمع الكاتبة « حقبة » على حقبات (ص ٤٧ وغيرها) والقياس صحيح ، ولكن المستعمل « الحقـب » « كعنب » .

١٥ ـ ومن الروايات التي لم ترد على قلم الكاتبة : « كفاح الاحرار للكاتب الارلندي ليام افلارتي ترجمهـا الاستاذ محمود مسعود ، وراجعها وقدم لها الدكتور عبد القادر القط ، نشرتها لجنة البيان العربي ١٩٥٦ سلسلة الـ ١٠٠٠ كتاب »

ايرجع السبب في الاهمال ايرلندية الكاتـب ؟ كان مناسبا ان نعرف ذلك منذ المقدمة ، على اننا راينا الكاتبة الفاضلة تثبت ما ترجم لجولد سمـث (قس ويكفيلد) وسويفت (رحلات جلفر) ، وقد ولد جولد سمـث في بلاس من ايرلندة ١٧٢٨ وتوفي في لندن ١٧٧٤ ، من اصل ايرلندي . وولد سويفت في دبلن من ايرلنده سنة ١٦٦٧ وتوفي فيها سنة ١٧٧٤ ويوصف بالايرلندي .. اللهم الا ما كان من فارق زمني .. واوسكار وايلد الم يكن من مواليد دبلن ؟

ولمناسبة الايرلندية نذكر ان عملا لبرنارد شو ترجم الى العربية على انه قصة بعنوان « البربرية تبحث عن الله، القاهرة ، مطبعة الاعتماد ، ص ١٣٦ » . ولم يكن هـذا العمل ـ في اصله ـ قصة وانما هو مقال مطـول ـ ان شئت ـ ترجمة عنوانه : مغامرات زنجية شابة في البحث عن الله » (١٩٣٢) . ومن المناسب ان يبين من يبحث في الترجمة للقارىء العربي حقيقة هذا الكتاب . وترجـم لبرنارد شو رواية قصيرة في سلسلة روايات عالمية غـاب عني اسمها .

١٦ ـ ان جهد الاستاذة الفاضلة بين ، نافـع ولكن القارىء ـ والباحث ـ يطمع بالزيادة غير مقدر للصعوبات الجمة التي تكتنف العمل . اما التعليق فهو اسهام بنية السعي نحو الاكمل خدمة للموضوع والقارىء . ولا شك في ان هناك ـ كما في اي موضوع ـ تعليقـات اخرى لا يستغنى عنها . وهي مما يسوغ النشر في المجلات قبـل ان يكون البحث « كتابا » .

١٧ ـ الاصل والنافع ، في معجمة الكتب الاحتفاظ بأكبر قدر من المعلومات التي تخدم الباحث من بعـد ، وتجنبه صرف الوقت فيما يدخل في « مادية » الكتاب ، وقد راعت الباحثة ذلك ، ولكن المتابع يلاحظ تضحيـة ببعض المواد ، وفي مقدمة هذه المواد ما عرف « بالمراجع » يوضع اسمه على غلافي الكتاب (الرواية) الى جـوار المترجم ، وفكرة « المراجع » في حقيقتها ، وكما يحب ان تكون فكرة سليمة لانها تجعل المترجم حذرا ، ولانهـا تستدرك على المترجم ما فاته . وهذه امثلة على روايات انكليزية مترجمة لم تذكر الباحثة لها اسم المراجـع : بتلر ، طريق البشر ، مراجعة مصطفى حبيب . جرين ، الامريكي الهادىء ، مراجعة محمود ماجـد . فورستر ، المنزل الريفي ، مراجعة فؤاد اندراوس . هاردي ، نافخ البوق ، مراجعة علي ادهم . وولف ، الامواج ، مراجعة احمد خاكي . اوستن ، اما ، مراجعة محمد سامي عاشور

اما دراسة « الرواية » فتقتضي دراسة « المراجعة » في خيرها وشرها .

يتضح هذا « التغصير » — من ابسط طريق — بالرجوع الى قائمة المطبوعات التي أصدرتها الهيئة المصرية سنة ١٩٧٤ ، ويمكن ان ينبه الرجوع الى هذه القائمة الى اسماء اخرى من الترجمات ، ومن ذلك : اوركزي ، سآخذ بثاري ، ترجمة غبريال وهبة ١٩٦٨ ، ٢٦٧ ص (روايات عالمية — ٤٩٢) ، وتستطيع الباحثة بما لديها من علم غزير بالادب الانكليزي ان تكتشف اسماء اخرى ، ولعلها تكتشف اسماء انكليزية وضعت خطأ مع الاسماء غير الانكليزية ، فقد وضعت القائمة — مثلا — فرنسيا (دوهاميل) مع الانكليز .. والعكس يمكن ان يقع .

١٨ — لدى مراجعة في كتاب « معجم المطبوعات العربية والمعربة » وجدت ص ١١١٦ زيادة على المعلومات التي ذكرتها الباحثة ص ٦٤ عن رحلات جلفر ١٩٠٩ : « صبري (بك) عبد الفتاح المدرس العام للتعليم بمجلس مديرية الدقهلية .. ص ١٦٠ »

(٦)

الف ليلة وليلة في الغرب . تأليف د. محسن جاسم الموسوي ، بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الجاحظ للنشر سلسلة الموسوعة الصغيرة — ٩٢ ، ص ١١٧ ، مايس ١٩٨١ .

١ — في العنوان ، اي في كلمة « الغرب » توسع ، لان البحث يقوم على انكلترة (في القرن الثامن عشر) .

٢ — يتكرر — مرارا — اسم اول مترجم لالف ليلة وليلة في الغرب (فرنسا) كالان Galland ولكن المؤلف يرسمه بالعربي كما لو كان اسما انكليزيا اي انه يلفظ الدال الاخيرة ويزيد على ذلك ياء بعد الكاف فيقول : كيلاند على حين صار لفظه الصحيح غير غريب على العرب ولا سيما بعد ان كتبت الدكتورة سهير القلماوي كتابها « الف ليلة وليلة » .

٣ — ص ٣٠ « اوائل الرومانسيين » ، الصحيح : الرومانتيكيون قبل الرومانتيكية ، او السابقون على الرومانتيكية ، او الرومانتيكيون قبل المصطلح ، لانهم في الحقيقة ليسوا رومانتيكيين .

٤ — ص ٣٨ « الثقاة » : الثقات .

٥ — ص ٥٣ اوفيد . كان يمكن رسمه (رسم حروفه) بالعربية ، وهو معروف للقارىء العربي .

٦ — ص ٥٩ « لم يتغاظ » : لم يتغاض .

٧ — ص ٦١ « ان كتابه يؤشر شحة المعلومات » : يدل على ، او يشير الى ..

٨ — ص ٦٤ « كان جيمز دلاوي قس وطبيب السفارة البريطانية لدى البيت العالي : الصحيح .. الباب العالي .

٩ — ص ٧١ « حكاية اخ الحلاق الخامس » : حكاية اخي الحلاق الخامس . ثم اننا نرد الحلاق الى لفظها الاصلي في الحكاية : مزين . مثلها ص ٤٠ حلاق بغداد : مزين بغداد والشائع المعروف في « الاربعين لصا » ص ٤٠ ، انهم « الاربعون حرامي » .

١٠ — ص ٧٣ « كان يشارد كاف .. مبينا » ان بعض اكثر الناس جدية ومعرفة ما زالوا يستعيدون بفرح الانطباع والاثر اللذين تركتهما قراءة هذه المجلدات ، ويحيل بالرقم (٥١) ، والاحالة طويلة ص ١٠٧ — ١٠٩ نقرا في آخرها بالانكليزية : انظر احمد حسن الزيات ، في اصول الادب (١٩٣٥) ١/٤٢ .

فلم لم تكتب هذه السطور من الاحالة باللغة العربية؟ ثم اهي من يشارد كاف ام من الدكتور الموسوي ؟

لنتذكر ان الكتاب ، كتاب الموسوي ، مشتق اصلا من رسالته للدكتوراه سنة ١٩٧٨ ، وقد كتبت بالانكليزية.

١١ — ص ٨٠ « التوسع الكولونيالي » .. وتكررت من قبل ، افما كان ممكنا القول : التوسع الاستعماري (وما اشبه) ؟

١٢ — ص ٨٧ « كلما . كلما .. » يكتفي بـ « كلما » الاولى .

١٣ — ص ١٧ « تخلى » كالان عن المقدمةالتي تكررها دنيزاد على اختها تمهيدا لكل حكاية . « تخلى عن دنيزاد وشهرزاد » : صحيح دنيزاد : دنيازاد ولسنا مقيدين لدى الكتابة العربية باللفظ الاجنبي الذي يغير ويبدل (ويشوه) على حسب جهازه الصوتي .

١٤ — ص ٣٣ « أيكات ماء » صحيحها : بدلالة التعبير الفرنسي المرسوم ازاءها ، نافورة . نافورة .

١٥ — ص ٥٢ « حكايات الجني وموت Abel » كذا بقيت بالحرف الاجنبي ، والذي اعرفه ان الكلمة بالفرنسية تعني « هابيل » اخا قابيل ، ونقول — اذن — موت هابيل.

(٧)

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق — الجزء الرابع ، المجلد الخامس والخمسون ، ذو القعدة ١٤٠٠ — تشرين الاول ١٩٨٠

١ — في — ص ٨٠٢ « في شعر النابغة الذبياني بتحقيق الاستاذ محمد يحي زين الدين: اصدرت دار المعارف بمصر مؤخرا ديوان النابغة الذبياني بتحقيق الاستاذ محمد ابي الفضل ابراهيم .. اعتمد المحقق على عدة نسخ خطية ، منها بشرح الاعلم الشنتمري ورابعة بشرح ابي بكر البطليوسي واخرى بشرح ابن السكيت الا ان عمله هذا لم يخل من بعض المآخذ والهنات . انه كثيرا ما يغفل الاشارة الى رواية الاصول او يتصرف فيها دون ما اشارة الى مصدر الرواية التي يأخذ بها . وقد يخطىء في نقل الروايات او عزوها او يأتي ببعض الاختلافات في رواية بيت واحد ويذر بعضها الاخر .

وقد يغفل عن ذكر الرواية في بعض الابيات على

مخالفتها لرواية الاصل . او انه يخطىء في قراءة النص او فيما ينقله من الشروح مما افسد الكلام واحاله ..

تضمن ذيل الديوان طائفة من الشعر المنسوب الى النابغة مما لم يرد في النسخ المعتمدة غير ان المحقق .. انبت في هذا القسم عددا من الابيات التي وردت ضمن بعض قصائد الديوان ومقطعاته ، ووضع المحقق في هذا الذيل ابياتا ليست للنابغة منها ما هو للحطيئة ، ومنها ما هو للنابغة الجعدي او للسرادق السدوسي او محمود الوراق او الاعشى .. على حين غفل شعرا اخر للنابغة ورد في ايصادر نصا ولم يثبته في الذيل الذي عمله .. الى اخطاء في الفهارس

٢ – بحث الاستاذ محمد يحي زين الدين جاد ، يا حبذا لو جرى مثله – وامثاله – مع التحقيقات الاخرى، اذا لاضطر المحققون الى شيء من « الاخلاص » .

ب – لقد صدرت عشرات الدواوين والكتب(الضخمة) بتحقيق الاستاذ محمد ابي الفضل ابراهيم . ترى كيف حالها من الضبط وحاله من الاخلاص ؟

واذا كانت الاخطاء التي لاحظها الاستاذ زين الدين وحده استغرقت ما بين ص ٨٠٢ – ٨٣٣ ولا شك في ان هناك مجالا لملاحظات اخرى ، كل هذا والديوان – ديوان النابغة – صادر عن دار محترمة هي دار المعارف ومحقق على اصول مذكورة .. ترى ماذا كان يفعل الاستاذ محمد ابي الفضل ابراهيم عندما يحقق لدار « تجارية » دون ذكر للاصول او دون اعتماد للاصول !!

المسألة اخطر مما تبدو !

٣ – من فوائد الجزء الرابع من المجلة « ترجمة المتنبي في تاريخ ابن عساكر » وكان من مواد المقالة هذه النص الذي نقله الدكتور شاكر الفحام « كما جاء .. في كتاب ابن منظور الذي اختصر به تاريخ ابن عساكر » عن مخطوطة ابن منظور التي يحتفظ بها المجمع ، نقله وحققه.

٤ – ص ٩٠٦ « مطبوعات المجمع . صدر .. شعر ابي هلال العسكري من جمع وتحقيق الدكتور جورج قنازع وطبع باشراف الاستاذ قدري الحكيم » .

اقول سبق للدكتور محسن غياض (العراق) ان جمع شعر العسكري وقد نشرته له دار عويدات بيروت ١٩٧٥ .

وهذا مثل من كثير لازدواجية العمل (وربما ثلاثيته) وتضييع الجهود ، ودليل جديد على الحاجة الى التنسيق ونشر الخبر العلمي .

واعلن المجمع عن تعاقده على طبع « شعر ابن ميادة » واعلم انه جمع كذلك (ولم يطبع) في ليبيا .

(٨)

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، الجزء الاول ، المجلد السادس والخمسون صفر ١٤٠١ – كانون الثاني ١٩٨١

١ – من بحوثه المهمة : قضايا حول الشعر العربي الاستاذ محمد عبد الغني حسن ص ١٠٥ – ١٢٧ ، منها ما يتعلق بالوزن ومنها ما يتصل بالنسبة .

أ – قال في مطلع كلامه : فصرنا كما قال شاعرنا القديم :

ولو كان هما واحدا لاحتملته ولكنه هم ، وثان ، وثالث

والاستاذ محمد عبد الغني حسن حجة في محفوظه وسعة علمه .. ولكني اروي البيت هكذا :

ولو كان سهما واحدا لاتقيته ولكنه سهم ، وثان ، وثالث

وتبقى نسبة البيت مجهولة .

ب – قال ص ١٢٠ « الصوفي الكبير سيدي احمد الرفاعي المغربي الاصل العراقي المولد المشهور صاحب الطريقة المعروفة بالاحمدية ، او البطائحية ، او الرفاعية والمتوفي سنة ٥٧٨ هـ .

وازيد – من باب الفائدة – العراقي المولد ، والمدفن، فله قبر يزار في بلدة اسمها الرفاعي .. (تابعة الى محافظة ذي قار) .

ولا بد من ان تكون البطائحية نسبة الى البطائح في جنوب العراق .. وربما كانت بلدة الرفاعي منها او قريبة منها ، لان البطائح كانت بين واسط والبصرة .. وبلدة الرفاعي قريبة من واسط

٢ – من فوائد الجزء : « التعريف والنقد : كتاب المدخل الى علم العدد وصنعه نيقوماخوس الجاراسيني – ترجمة ثابت بن قرة – تحقيق الاب ولهلم كوتش » بقلم الاستاذ عبد الكريم زهور عدي .

٣ – لدى تلخيص «وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة » ورد أن الاستاذ عبد السلام هارون قال ص ١٧٢ : « ان كلمة (ايوه) العامية لها جذر فصيح هو : اي والله » .

واحسب في الامر غير قليل من المبالغة. واذا صدقت بقية مبادىء اولية لي بالتركية قلت ان (ايوه) وهي مصرية جاءت عن التركية : ايفت (وقد تقلب الفاء واوا) ، ولا نكران للتغلغل التركي في مصر خلال تاريخ طويل – كما لا موجب للابتعاد وللايغال لدى التعليل والبحث عن الجذور .

(٩)

١ – الى الاستاذ عبد العليم القباني – تحية واحتراما وشكرا – وبعد

فقد جاء في « تحقيقات عرضية » عدد نوفمبر وديسمبر ١٩٨٠ « لم يكن طه حسين مديرا لجامعة الاسكندرية »

فتفضلتم بالتعقيب على ذلك في عدد مارس وابريل ١٩٨١ بما يفيد ويثبت انه – اي الدكتور طه حسين كان مديرا لجامعة الاسكندرية بين ٦ سبتمبر ١٩٤٢ واكتوبر ١٩٤٤ معتمدين في ذلك على ما ورد في تقويم جامعة فاروق الاول (الاسكندرية .

ولا اشك في ان صلتكم الوطيدة بجامعة الاسكندرية تجعلكم اهلا للتحقيق والتصحيح ولكن الذي اود ذكره (مستأنسا بالكتاب الذي اشرف على اعداده الدكتور عبد الرحمن بدوي : « الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين » ١٩٦٢) ان الدكتور طه حسين كان في وظيفته الاصلية « مستشارا » في وزارة المعارف ومقره في القاهرة . وقد عين – وهو في هذه الوظيفة – مديرا لجامعة الاسكندرية .

والذي اعرفه ان المرء – عادة – لا يمكن ان يجمع وظيفتين يكون فيهما كلتيهما اصيلا في وقت واحد ، فاذا كانت الوظيفة الاصلية للدكتور طه حسين « مستشارا » فلا بد من ان يكون عمله في جامعة الاسكندرية اداريا فقط (وليس مديرا) او وكالة وليس اصالة .

هذا الذي فهمته – وافهمه – وما زلت آمل تبين وجه الصواب على الدقة .

لقد ادار الدكتور طه حسين جامعة الاسكندرية (فاروق) وما في ذلك شك ، واني لاعرفه جيدا .. ولكن هل كان مديرا بمعنى الكلمة ، وظيفته الاصلية : مدير جامعة فاروق الاول .. او كان مكلفا بالادارة « اضافة » و « زيادة » على عمله مستشارا بوزارة المعارف بالقاهرة ؟

واعرف – كذلك – ان مقر اقامته الدائم بقي في القاهرة .. ويروح ويغدو الى الاسكندرية على مقتضى العمل الاضافي .

وهذا نص كتاب « الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين » ص ١٦ : « وعاد الوفد الى الحكم في فبراير سنة ١٩٤٢ فعينه نجيب الهلالي وزير المعارف مستشارا لوزارة المعارف ، ثم انتدب مديرا لجامعة الاسكندرية في اكتوبر سنة ١٩٤٢ ، واستمر في هذين المنصبين حتى ١٦ اكتوبر ١٩٤٤ »

والنص يقول : انتدب مديرا .. والمنتدب غير المدير .

وهذا ما ترويه سوزان طه حسين في كتابها « معك » الترجمة العربية ، دار المعارف ، ١٩٧٩ ص ١٣٦ – ١٤٢ « عين طه مراقبا عاما للثقافة .. اما طه فقد انصرف برغم مدافع العدو (الالماني) القريبة الى تأسيس جامعة الاسكندرية . وبعد ثلاثة أشهر سقطت وزارة النحاس ، ولم يعد طه مراقب ثقافة ولا رئيس جامعة الاسكندرية . وكان بوسعي – بمعنى ما – ان استمتع بذلك . فقد كانت مهمته في الوزارة اصلا . ولكن عندما افكر في انه كان يذهب الى الاسكندرية يومين في الاسبوع يقوم خلالهما بعمل ستة ايام والمكافأة الضئيلة التي كانت تدفع له والتي لم تكن تسمح له بالذهاب الى الفندق لقضاء الليل ، الامر الذي يضطره للنوم في الادارة المؤقتة للجامعة ، في غرفة صغيرة وضع فيها سريران حديديان من اسرة المستشفى ، وانه كان يأكل كيفما اتفق ، عندما افكر بكل ذلك اعايش الامر من جديد .. »

وما زال بالمسألة حاجة الى البت . اهو مدير . ام مؤسس . و « مأجور » لعمل اضافي ؟

٢ – الى الاستاذ عبدالله كنون – تحية واحتراما وشكرا – وبعد

فقد جاء في « تحقيقات عرضية » عدد نوفمبر وديسمبر ١٩٨٠ ما يأتي :

نظرة في منجد الاداب والعلوم – عبد الله كنون ..

١ – ص ١٣ « الاخطل . اهتم في نشر مخطوطاته الاب انطون صالحي : والصحيح اهتم بنشر ديوانه بالباء. صحيح صالحي : صالحاني .

ونظرة سريعة الى هذه « التحقيقة » تبين ان التصحيح ، تصحيح كاتب التحقيقات العرضية – انما يقع على « صالحي » ولا يبعد ان يستنتج القارىء ان الخطأ فيه خطأ مطبعي .

وهذه النظرة السريعة يمكن ان تدله على ان يضع قوسين (هلالين) صغيرين بعد كلمة (بالباء) يسد بهما الهلالين الاولين ليحصر كلام الاستاذ مؤلف كتاب نظرة في منجد الاداب والعلوم – عبد الله كنون .

وينتهي حينئذ كل اشكال ، ويفهم ان التصحيح الاول هو تصحيح الاستاذ عبد الله كنون ، والتصحيح الثاني – وليكن مطبعيا – هو تصحيح – أو تنبيه – كاتب التحقيقات العرضية .

المسألة اذا – مسألة سد القوس ، وتنتهي . هكذا فهمتها عندما وصل الي اديب نوفمبر وديسمبر ، وكنت اود لو اني فهمتها على غير ذاك ، اذا ، لكنت اسرع من الاستاذ عبد الله كنون الى التصحيح مع الاعتذار الشديد.

ثم

صدر عدد يناير – فبراير ١٩٨١ فكان في « بريده »: تصحيح غير وارد .

قرات ..

نظرة في منجد الاداب والعلوم ، عبد الله كنون – القاهرة – معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٢ – ١٩٧٣ ١ – ص ١٣ الاخطل .. اهتم في نشر مخطوطاته الاب انطون صالحي : والصحيح اهتم بنشر ديوانه بالباء. صحيح صالحي : صالحاني .

ونظرة سريعة الى الصورة التي رويتم بها خبر التحقيق توقع القارىء في الوهم ذلك انكم – في صورة روايتكم :

أ – لم تحتفظوا بصورة كاتب «التحقيقات العرضية»

ب – فلم تفتحوا قوسا تنصيصيا لكلامكم في منجد الاداب والعلوم فتقولوا كما قال كاتب التحقيقات العرضية:

١ – ص ١٣ « الاخطل ..

وحينئذ لا يتنبه القارىء الى ضرورة سد القوس .

إنها بانتظاري

فاجاوني بالقول جاءت اليا — واتتني لتطمئن عليا
ويقولون انها بانتظاري — تحمل الحب ، والوفاء النقيا
افحقا كلامهم ام خيال ؟ — لم اصدق ـ وحقها ـ اذنيا
كان ليلي من قبلها سرمديا — فاطلت عليه فجرا نديا
طرزته من حبها بخيوط — جعلته معطرا ذهبيا
سكبت فيه لمحة من سناها — فبدا مشرق الرؤى شاعريا
والتقينا ، فلفنا الصمت نستلـ — ـهم منه في الحب لحنا شجيا
هل رايتم صمت المحبين ؟.. — يبدو فيه سر الهوى الدفين جليا
فالكلام الذي تزاحم في صدر — ي ليحكي لها الغرام العتيا
كل الفاظه لروعة مرآها — تهاوت نشوى على شفتيا

بغداد ـ ص.ب ٢٢٠٣٨ — محمد جواد الغبان

ج ـ وضعتم كلام مؤلف « نظرة في منجد .. » مع كلام كاتب التحقيقات العرضية في سياق واحد وسطر واحد .

وهذا يزيد في اضطراب القارىء فلا يميز كلاما من كلام .

ومن ثم يكون مجال للقول بأن « التصحيح غير وارد لان الخطأ في كلام المنجد ، وقد صححته فلا داعي لتصحيحه من جديد ، بل ما يفهم من كلام الدكتور ان الخطأ من كلامي » .

واشهد بهذه المناسبة ان تصحيح « اهتم في » بـ « اهتم ب » من تصحيح الاستاذ عبد الله كنون وان الخطأ ليس في كلامه وانما هو في كلام « المنجد » .

وعذرا لما كنت فيه ـ ولا اقول لما كان فيه سد القوس ـ من اسباب قلق الاستاذ الفاضل ، الباحث الكريم عبد الله كنون .

٣ ـ تهيىء هذه الفرصة لكاتب « تحقيقات عرضية » ان يزجي جزيل الشكر للافاضل الذين يرون اي خلل او خطأ او ابهام في تحقيقاته . ويتفضلون ـ خدمة للعلم والادب والحقيقة ـ بالتصحيح والتنبيه والتعليق .

الشكر على الملاحظات السابقة . الشكر على الملاحظات اللاحقة ، ولا ـ ولن ـ تؤدي التحقيقات ما اريد لها ما لم تخضع للدرس ، فاذا مر خلل او خطأ أو ابهام ولم ينبه اليه من يقع عليه فان الاستهانة ـ ولا اقول الاثم ـ ترد الى مسؤوليته ـ وشكرا مرة اخرى . وشكرا خاصا مباشرا الى الاستاذ عبد العليم القباني على ملاحظة له سابقة ـ في اديب يناير ١٩٨٠ ـ بعد زيادة المعلومات عن ترجمة أديب اسحق لقصة الباريسية الحسناء تأليف الكونته داش » وهكذا يمكن ان تستكمل جوانب المعرفة المترامية .. وقد تعدت ملاحظات الاستاذ القباني حدود اديب اسحق بما ينفع ويفيد ويغني .

بغداد ـ الجادرية — علي جواد الطاهر



ايليا حليم حنا

كيفَ نفيد من تجاربنا ؟

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

يحلو لي بين حين واخر ان ارجع الى مذكراتي ، استعرض ما مر بي من احداث وتصرفات من الناس ومني واحاول ان ازن الامور بعيدا عن الثورة والانفعال من خلال ما كتبته .

انها صفحات من كتاب حياتي استمرىء اعادة قراءتها ، واحس كلما عاودت قراءة هذه الصفحات كأنني انظر الى مرآة تنعكس عليها حياتي ودنياي ، او كأنني امر في حديقة زرع فيها النجاح والفشل ، الراحة والالم ، الهدوء والثورة ، وغيرها من اعشاب الحياة وزهورها متعددة الانواع والاشكال والالوان .

كثيرا ما اسير في حديقة ذكرياتي هذه بين احواضها وخطوطها وتحت الظلال التي تلقيها اشجارها واحس بما تجلبه نسائمها من اعماقي البعيدة والقريبة .

ودفتر مذكراتي هو متنفسي .. اسجل فيه كل تجاربي واصداءها في نفسي ، اصورها حارة نابضة بالحياة .. اصور فيه كل ما اهاج اعماقي واثار تفكيري ورايي الصريح في كل شيء ، ونقدي وتعليقي حسب وحي اللحظة واثر التجربة ، وانفعالي بها . صور قلمية حية نابضة لحياتي وللاحداث والناس ودنياي .. تجارب تتنفس وتنطق وتضحك وتبكي وتصرخ وتحب وتكره .

كلما رجعت الى حديقة ذكرياتي هذه احس انني اعيش فيها بكل حواسي لانها قطعة من حياتي وتجاربي ، انها اعماقي وظروف حياتي . انها افكاري وتأملاتي . انها افراحي واحزاني ومتاعبي . انها مرآتي التي ارى فيها نفسي .. انها حياتي الخفية والظاهرة صورتها في كلمات صريحة نابضة . فيها الكثير من اسرار حياتي واسرار الناس . فيها افكاري التي لم افرض عليها رقابة . فيها صراحة لا يقبلها كثيرون . وكثيرا ما ترددت في ان اعري نفسي واعري اصدقائي واقاربي وانا اكتبها ، اشفاقا على نفسي وعلى احبائي . انها كل تجاربي رصدتها وهي حية تنبض في كياني .

عندما اقلب محتويات مستودع الذكريات هذا استعيد اياما واحداثا وآلاما وقلقا واحجاما وترويا واندفاعا وخوفا ، وجهلا بالناس ، ونقصا في الخبرة ، وعدم انتفاع بالفرص ، وظروفا كانت اقوى مني خضعت لها ولا مفر وانا أئن مغلوبا على امري ، وآمالا ولت ولم يتحقق منها شيء ، وصورا جميلة للحياة كانت تنسجها احلام اليقظة ، واحساسا حيا حاراً نابضا لا غش فيه ولا تزويق .

كلما تسللت خلال حديقة ذكرياتي هذه جست خلال ذكريات يختلط فيها الرضا والغضب ، الذكاء والغباء ، الاستقرار والضياع ، امور صغيرة صعدتها او صعدها غيري تصعيدا مثيرا ، معالجات خاطئة متعجلة .. استجابات متناقضة ، زوابع ما كان يجب ان تثار ، مبالغة في احزان وافراح ، سوء فهم ، احكام فيها تحيز للنفس او لمن نحب ، مشاكل يولغ فيها وضاع منا الطريق لحلها حلا سليما .. نسيج عجيب . خيوطه متعددة الالوان والاشكال !!. ليس فيه شيء يبقى على حاله . مفاجآت ومباغتات وتقلبات ليست في الحسبان . مسكين الانسان، انه يسكن تحت سقف يخشى ان ينهار عليه في اي وقت !

اننا نواجه في كل لحظة من حياتنا مشاكل الحياة ومنغصاتها . وما احوجنا الى الدروس الحية المستفادة من تجاربنا والتي ترينا الطريق الى الحلول الصائبة والى العمل الاكثر اتقانا ، وتعيننا على حل مشاكلنا . لا قيمة لتجاربنا وكل ما انفقناه فيها من آلام وآمال وعرق ودموع وضيق وقلق وحيرة وجهد ومخاوف ان لم يكن لها اصداء في تعديل مسلكنا ونظرتنا الى الامور ، وغذاء لعقولنا ووجداننا ..

حرب بلا نهاية ، ولكن يخفف من ضراوة هذه الحرب ان نجدد حياتنا ونعمق فهمنا لدنيانا وللناس حولنا ، بهضم تجاربنا واستخلاص الجوهر الذي توحي به . وعندئذ نصل الى النضج والوعي والادراك السليم .

تجاربنا نقط ابتداء جاهزة ، لها اسس واقعية ،

ومشاعل تضيء لنا الطريق الى حياة افضل ، وفكر انضج، وتأمل واع وعواطف ارقى وتعطينا القدرة على مواجهة الحياة مواجهة صحيحة ، فالخبرات لن تكون لها فائدة الا اذا واجهنا انفسنا وادرنا عيوننا في المواقف السابقة .

التجارب تثري حياتنا وتعطينا ما نتفادى به الاخطاء والحماقات ، ولا يمكن ان ننضج حياتنا ونثريها الا اذا فكرنا فيها ، وحللناها اكثر مما نجملها ، او نتركها تمر دون تفكير ، لا بد من تنسيق عناصر التجربة الشخصية ، انه جوهري ان نستقرىء تجاربنا ثم نذهب ننشد ما نستطيع ان نفعله للتغلب على موقف او حل مشكلة ، او تكوين راي ، بغير هذا لا نستطيع ان نواجه الظروف مواجهة موضوعية .

واتسا عافق النفس بالتجارب يؤدي الى القدرة على احتمال المتاعب ومعرفة السبيل الى التخلص منها او التغلب عليها . والقدرة على الاحتمال ـ كما يقول انورين بيفان ـ من طليعة الفضائل التي يتميز بها العقل المجرب المتحضر .

الحياة عملية هضم وتمثيل ، نمزج فيها بنفوسنا كل ما يدخل فيها ، والتجارب الانسانية الواعية تصقلنا وتساعد على تكوين ذاتنا الخاصة ، ونعمل على نضجها وتنميتها ، وتثري نظرتنا الى الناس والكون ، وتبعدنا عن التخبط والتلقائية ، وتجنبنا الاحكام المتسرعة ، والتعميمات المختلة ، وتمكننا من سرعة البت في الامور والوصول الى نتيجة افضل ، ومسلك اسلم ، وتجعل ارادتنا واعية خلاقة .

لا يمكن أن تنمو الحياة وتتقدم اذا اغفلنا تجاربنا .. وخسارة كبيرة الا يضع الكبار تجاربهم امام نظر الشباب، لتعينهم كأساس صحيح سليم في امور حياتهم ، تكون زادا وركيزة لهم في العبور بين الحلم والواقع ، بين النظريات والتطبيق .. (خبرة ستين عاما في حياة العاملين في كل نواحي الحياة اين تذهب بعد ان يحالوا على المعاش؟ من المؤسف ان تضيع خبرة ستين عاما او اكثر ولا يفيد منها الناس ، فالى ابن الستين اقول : لقد امضيت ستين عاما اكتسبت فيها كثيرا من الخبرات ، ومن الخطأ ان تعتقد انه لا عمل لك بعد الستين ، اننا في اشد الحاجة اليك في مثل هذه السن .. لم لا تكتب خبراتك في الحياة؟ لم لا تكتب عن خبرتك في حياتك العملية ، وحياتك الزوجية ، وفي تربية الاطفال ، وفي معاملة الناس و ..؟

انه من السهل عليك ان تقدم لنا هذه الخبرة فانها تعيش في اعصابك وعقلك وعواطفك ، ولا يهم ان تكون مالكا لناصية اللغة لتكتب هذه الخبرات القيمة .. ان دور النشر يمكنها ان تقدم انتاجك هذا الى من يضعه في القالب اللغوي الصحيح .

لا تعش في فراغ ، ولا تضيع ايامك الباقية سدى ، ولا تقبر خبرتك .. ارشدنا فنحن في حاجة الى تجاربك في الحياة لتضيء لنا الطريق . اكتبها لنا وستجد انك تستمتع بالوقت وانه ما زالت لك اهميتك في الحياة . لا تقل انها خبرات عادية لا تستحق التسجيل ، انها عادية بالنسبة لك لانك عشتها ولكنها مجهولة تماما لمن لم يمر بها . حرام ان يذهب معك هذا الكنز الثمين من التجارب ويقبر دون ان يفيد منه الذين يقفون في اول الطريق ليقطعوا نفس الرحلة التي قطعتها انت ، وفضلا عن ذلك فأنت ستقضي بهذا النشاط على الضجر الذي يستولي عليك عندما لا تجد ما تملأ به ايامك ولياليك .. قدم لمواطنيك خبرتك وانر لهم السبيل وعش .) *

خبراتنا وخبرات الغير تمكننا من ان نلتحم بالحياة ونمشي بثقة في رحابها الواسعة نحمل مشاعل تضيء لنا الطريق وترينا ما يمكن ان نعمله ومعنا زاد لا غش فيه بعيد عن الخيال والتوقعات التي لا اساس لها .. الشخص الذي لا يأخذ من تجارب الحياة وخبرات الاخرين ، يقف جامدا او عند حد لا يتعداه ، يأتي عليه وقت يجف فيه ولا يجد عنده شيئا يثري حياته او ينميها .. ترقى حياتنا وتعظم بقدر ما ترتبط بتجاربنا الناضجة .. بدون المعرفة الموضوعية يتيه الانسان في متاهات الحياة ويخطىء .

انني كثيرا ما اعود الى دفتر مذكراتي استعيد ذكرياتي واتأمل تصرفاتي واحلل تجاربي ، واستقرىء ما حدث لي في حياتي واتأمل في مسلك لي ونتائجه ، واعرف ما كان يجب ان يعمل وما كان يجب الا يعمل . من الحكمة ان ننظر الى ماضينا على انه درس نعرف منه اخطاءنا ثم نركز اهتمامنا في الحاضر لنستغل فيه تجربة الماضي .. لا بد من استعادة احداث حياتنا اولا بأول ومراجعتها في لحظات نسترخي فيها ونتأمل بهدوء بعد ان تكون العاصفة قد مرت وخف صخب العاطفة حتى نرى الاحداث على حقيقتها على ضوء النتيجة التي وضحت لنا . وبهذا نستخلص النتائج والعبر ونرى كل شيء بمنظار الواقعية التي تفيدنا في حياتنا ويكون حكمنا على الامور اقرب الى الحقيقة ، وبهذا نكتسب القدرة على مواجهة الحياة مواجهة صحيحة ونتخلص من نظراتنا وتصرفاتنا الانفعالية غير الموضوعية التي تسيطر على سلوكنا الفكري والوجداني وتقودنا الى الخطأ .. الحياة الناضجة هي محصلة تجارب واعية تقرها عقولنا قبل ان تقرها غرائزنا ، ولا يصنع الحياة الناضجة الا اعادة النظر في جوانب حياتنا المختلفة، اعادة بناء عاداتنا وفكرنا وسلوكنا وتصوراتنا واذواقنا ، وقيمنا ، على ضوء تجاربنا الواعية والخبرات الناضجة صانعة القيم الطيبة والنهايات العظيمة. التجارب المصقولة تعين على اكتساب مهارات جديدة وتنمية الشخصية المتكاملة وفهم طبيعة العالم وطبيعة الناس .

لا قيمة لتجاربنا ان لم نراجعها ونحللها ونستلخص الجوهر الذي يوحي به التأمل والتحليل . لا يمكن تجديد حياة الواقع والتطابق مع الحقيقة الانسانية الا اذا حللنا

لزوم ما يلزم

كان الشاعر يقضي – وعلى مدى عشرين عاما – ايام الصيف بين نبع بقين ، والجرجانية ، وبلدة مضايا ، والزبداني وبلودان .. بصحبة عائشة اللحام – ام فداء – ام اولاده .. وبعد مرور « سنة » على وفاتها ، وكانت قد وقعت اوائل خريف ١٩٨٠ م تذكر الشاعر – وهو في دمشق – اماكن المصيف .. فكانت هذه القطعة المؤسية وقد التزم فيها الشاعر اسم « عائشة » في القافية فكرره في اكثر الابيات ..

من سفح « بقين » اتتني نسمة فيها رؤى .. من ذكريات جائشه
قالت / وقد غصت بها حنجرتي – جاء الخريف .. لم تزرني عائشه
جاوبتها ودمع عيني جرى قد داهمت عشي رياح طائشه
يا نسمة الصيف ب بقين .. الم تخبرك اشعاري .. بفقدي عائشه؟
قد حرم الصيف علي بعدها فحدثي يا نسم عني .. عائشه
بانني .. والحزن يجري في دمي ابكي على (بقين) كرمى عائشه
فادمعي دفاقة كنبعها وغنوتي ب الآه امست عائشه
ولم تعد ترتاد قلبي فرحة وفرحتي بالامس .. كانت عائشه
يا لوعة .. اشربتها قاسية قد صيرتني عامريا .. عائشه
في البيد .. امضي سائبا لا ارتوي من لفحها الجمري .. عقبى عائشه
في الرمل ، في الكثبان يعلو رسمها في النجم .. في الارياح تبدو عائشه
من زرقة الآفاق .. من عمق المدى ياتي الى – منفاي ، طيف عائشه
يا نسمة النبع التي هلت .. الا يكفيك اني قد فقدت عائشه
قولي ل بقين التي تشتاقنا عاد الخريف .. لم تزرنا عائشه
اما فتاها في دمشق جرحه لما تزل تدميه ريح طائشه
يبكي على رحيلها كما النسا وتعتريه .. الذكريات الجائشه

دمشق

اسماعيل عامود

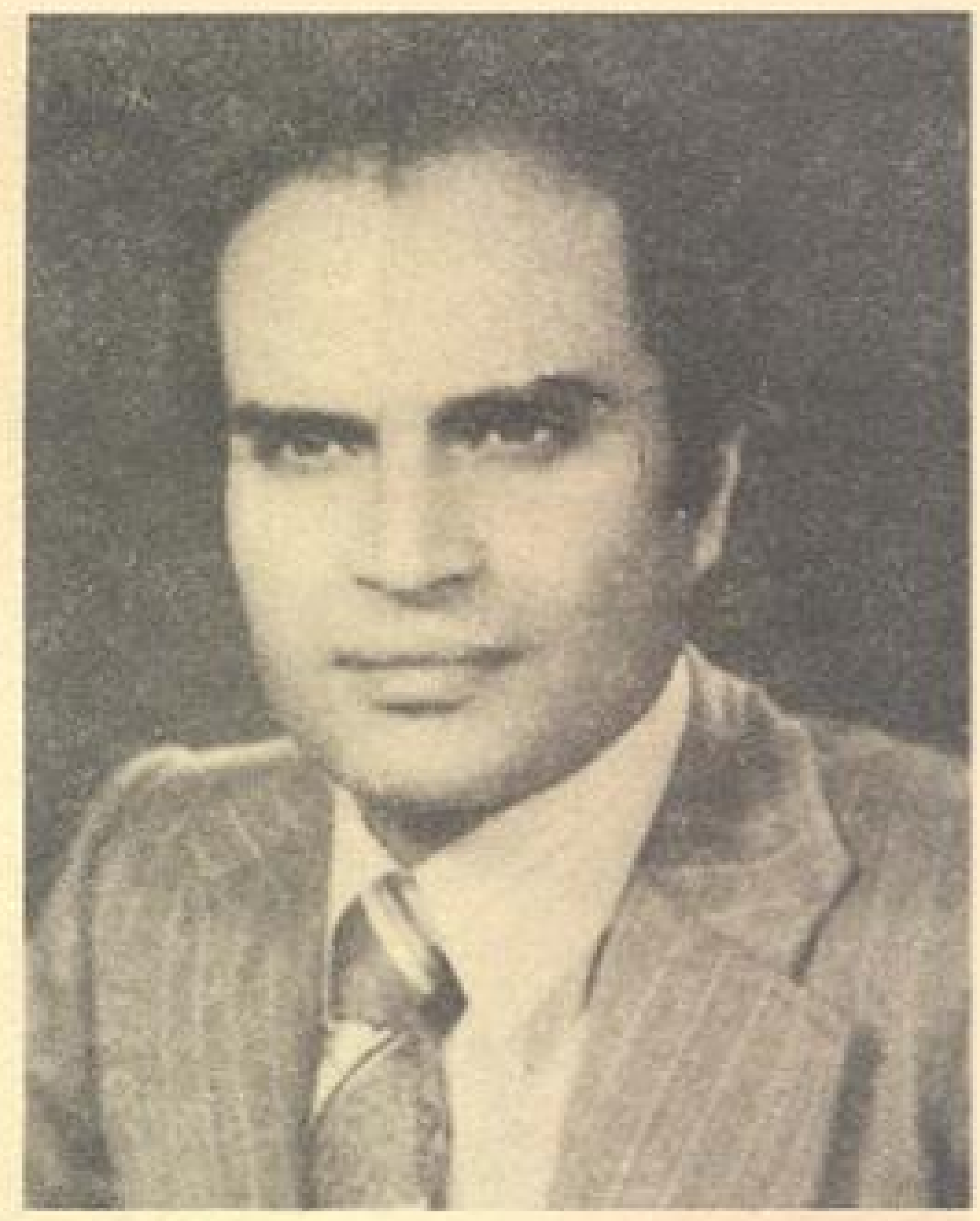
تجاربنا ونظرنا الى مسلكنا من مختلف الزوايا وتصرفنا بمقتضى النتائج التي نصل اليها . بهذا نستطيع أن نصوغ اساليب جديدة للحياة ونصل الى النضج والوعي والقدرة على فهم الناس ودنيانا بشكل اعمق واصدق وافضل .

الانسان الذي يستطيع ان يرى الهوة بين ما هو كائن وما يجب ان يكون يعمل بتمييز افضل والذي تسوقه غرائزه وعاطفته الهوجاء ويتشبث بعاداته الثابتة المعوقة، يتصرف بغير تمييز وبغير تفكير . يقول (توماس بين) ما اعجز الانسان ان لم يستطع ان يرفع من قيمة نفسه .. وما أتفه العقل اذا شل وظيفته بموروثات تنقصها الحقائق الساطعة .. ولم يستفد من التجارب الناضجة .

* من كلمة نشرت لي بجريدة الجمهورية المصرية بتاريخ ٢٥–٢–٦٨

القاهرة

ايليا حليم حنا



متولي محمد البساطي

إبراهيم ناجي بين ناقدين

بقلم الدكتور متولي محمد البساطي
مدرس الادب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

طه حسين ومحمد مندور علمان من اعلام النقد العربي الحديث ، وقد كان لهما دور رائد في توجيه حركة النقد، وارساء دعائمه ، ونقدهما للشاعر ابراهيم ناجي يحتاج الى وقفة ، لانك تجد في نقدهما له اختلافا بعيدا في الراي، فأحدهما قد هوى به الى الحضيض ، وثانيهما قد رفعه الى الاوج .

ومناسبة حديث طه حسين عن ناجي صدور ديوانه الاول « وراء الغمام » سنة ١٩٣٤ ، الذي جاء ضمن سلسلة مقالاته « حديث الاربعاء » (١) .

ويبدا طه حسين نقده بثناء شهد فيه لناجي بانه من العلماء « الذين أغراهم العلم بالادب ، فأقبلوا عليه وزاحموا فيه اصحابه الذين انفقوا فيه حياتهم ، ووقفوا عليه جهودهم . زاحموهم مزاحمة الموفق المنتصر الذي لم يظفر من النجح بحظ قليل » .

ثم اهدى الى الشاعر الطبيب أجمل التحية واحسن الثناء لبلائه الحسن الذي ابلاه في خدمة آلهة الشعر في وقت قل فيه الخدام المخلصون لهؤلاء الالهة . « وانما هو فوق هذا كله موفق الى حد بعيد فيما حاول من ارضاء الشعر واصحابه ، موفق فيما قصد اليه من المعاني، موفق فيما اصطنع من الالفاظ ، وموفق فيما اتخذ من الاساليب » . وجريا على عادته يخرج من الاجمال الى التفصيل اذ يقول :

« فمعانيه جيدة تصل احيانا الى الروعة ، وان كانت تنتهي الى الابتذال ، والفاظه جيدة قد يعظم حظها من المتانة والرصانة ، وقد تكره اذن السامع على الالتفات والاعجاب والشعور بهذه اللذة الموسيقية التي يشعر بها الناس احيانا بآذانهم ، وان لم تصل الى عقولهم ، واساليبه جيدة ايضا عظيمة الحظ من الصفاء، لا يفسدها العوج ولا يفسدها الالتواء في كثير من الاحيان . وان كنا سنقف مع الشاعر وقفات عند الفاظ لا تخلو من خطأ ، واساليب تبرأ من عوج ، ومعان لعلها تبعد عن الصواب . ولكن الذي يطالب الشاعر بالاجادة المطلقة في الالفاظ والمعاني والاساليب يكلفه شيئا عسيرا لا يحتاج الا لجماعة معدودين من الشعراء الذين ميزهم النبوغ وسما بهم الى حيث لا يكاد يرقى اليهم النقد الا في مشقة وجهد وعسر شديد » .

وفي ظني ان الاجادة المطلقة لا تتوفر لاي شاعر او اديب حتى لو كان نابغة ــ كما يقول طه حسين ــ .

ويحكم للشاعر بالنبوغ لانه صار قريبا منها ، وهو يختلف عن باقي الادباء اختلافا في الدرجة ، حيث لا يسلم احد من اخطاء او هنات ، كما انه لا يوجد شاعر او اديب لا يكاد يرقى اليه النقد الا اذا فهم النقد على انه التعرف على العيوب والاخطاء والحرص على اذاعتها ، اما اذا فهم على انه البحث عن جوانب النضج الفني في النتاج الادبي عن طريق الشرح والتعليل ثم الحكم عليها بعد ذلك فان النابغين من الشعراء هم في مقدمة من يرقون الى النقد . ثم ينفي عن ناجي النبوغ او انه عظيم الحظ من الامتياز فيقول : « انما هو شاعر مجيد تألفه النفس ، ويصبو اليه القلب ، ويأنس اليه قارئه احيانا ، ويطرب له سامعه دائما » ، ولكنه على الرغم من هذا كله ــ عند طه حسين ــ اذا نظر اليه نظرة الناقد المحلل لم يكد يثبت او يصبر على النقد ، ويفر عنه الجمال الفني .

والحكم السابق لا يستقيم مع ما سبق من ثناء وشهادة بالشاعرية والظفر في ميدان الشعر بحظ من النجح غير قليل ومع ما وصف به شعره من جودة المعاني والالفاظ والاساليب وكأنه يتطلب منه الاجادة المطلقة . بل اننا نقع في حيرة من امرنا امام احكام طه حسين ، فكيف يكون الشاعر مجيدا تالفه النفس ، ويصبو اليه القلب ،

ويأنس اليه قارئه ، ويطرب له سامعه ثم لا يثبت على نقد، ويفر عنه الجمال الفني . ان حسب اي شاعر ان يصل الى هذه الدرجة ، وما الذي يتطلبه الناقد من الشاعر بعد ذلك خاصة اذا كانت مهمة الناقد مهمة مزدوجة ، لانه يقوم بدور المرشد للاديب والمتلقي معا ، كما ان ناجي لم يكن يطلب منه ان يصفه بالنبوغ ، وانما ينتظر منه الحكم المنصف بعد التحليل والتعليل . فأي ظلم اوقعه الناقد بالاديب !!

وفي فقرة اخرى ندرك كأن طه حسين يتطلب من ناجي ان يكون ضد طبعه حيث يذكر انه من الشعراء الذين يحسن ان يقرأوا في رفق ، لانه فطر على رقة لا تحتمل العنف وشدة الضغط « هو شاعر هين ، لين ، رقيق ، حلو الصوت ، عذب النفس ، خفيف الروح ، قوي الجناح، ولكن الى حد » ثم يأخذ على عادته في تفصيل ما تقدم بعبارات فيها ايلام ووخز ، وكان قصاراه ان يكتفي بما تقدم ولكنه يأبى الا ان يستعرض قدرته في الوصف والتصوير باسهاب وينبه بعد هذا الى ان في شعره هنات وانه لم يعرف شعرا « اشد حاجة الى ان يبرأ من العيب من هذا الشعر الوادع الذي يمتاز بالرقة والرفق ، والذي يتحدث الى النفوس المحزونة والقلوب المكلومة، والضمائر التي تريد ان تستريح » .

لقد كان ناجي حيا ذا حساسية مفرطة ، مرت حياته بمنعطفات حادة كان لها اثرها على نفسه ، فطبع شعره بالرقة والحزن في غالبيته ، وجاء شعره متفقا مع هذه الطبيعة ، وهو ليس مطالبا بأن يقول في كل الاغراض والمعاني ، وانما حسبه ان يجيد في جانب حسبما اوحت اليه طبيعته وملابسات حياته .

ويسم طه حسين شعر ناجي بالتكلف، والحرص على اقامة الوزن واقرار القافية ، وعلى مجاراة جماعة من الشعراء والمفكرين ، ويذكر ان ما تقدم هو اول العيوب مما يوحي بأن هناك عيوبا آخرى وراء ذلك وان لم يذكرها (٢) .

ثم يتناول بالتطبيق قصيدته « قلب راقصة »

وعنده ان الشاعر نظم هذه القصيدة مجاراة للشعراء والمفكرين الذين تناولوا هذا الموضوع « لم ينظمها الا ليقال انه نظمها في هذا الموضوع او ذاك » ، والقصيدة ليست شيئا فليس فيها جديد ما ، وانما هي كلام مألوف قد شبع الناس منه حتى كاد يدركهم الملل ، ويعرض لستة ابيات من بدايتها ليؤكد قوله السابق وهي :

امسيت اشكو الضيق والاينا — مستغرقا في الفكر والسأم
فمضيت لا ادري الى اين — ومشيت حيث تجرني قدمي
فرايت فيما ابصرت عيني — ملهى اعد ليبهج الناسا
يجلون فيه قرائح الحسن — ويباع فيه اللهو اجناسا
بغرائب الالوان مزدهر — وتراه بالاضواء مغمورا
فقصدته عجلا ولي بصر — شبه الفراشة يعشق النورا

ويأخذ عليه قوله في البيت الاول : « مستغرقا في الفكر والسأم » حيث ان المعنى لا يستقيم للشاعر المجيد هكذا ، « فالمفكر لا يسأم والسئم لا يفكر » ، والصورة في البيت الثاني لا تلائم شعرا ولا تلائم لغة « فالقدم لا تجر صاحبها ، وانما تحمله » ، والشطر الثاني من البيت الثالث كله لا معنى له ، فهو جاء ليقيم الوزن والقافية .

« وامعن في قراءة القصيدة فتنتقل من كلام مألوف الى كلام مألوف ، وستمر بضعف لتتجاوزه الى ضعف آخر » . ويستمر في عرضه لاخطائه النحوية في القصيدة لينتقل الى بعض المعاني الاخرى التي وردت في قصائد غير هذه القصيدة معيبا على الشاعر ومقبحا له في قوله ، ويختم حديثه ونقده بأنه لم يفهم عنوان الديوان ! قائلا : « واخشى ان يكون العنوان متكلفا ، كما ان كثيرا من المعاني والالفاظ والقوافي متكلف ايضا » .

اما محمد مندور فقد عرض لشعر ناجي عند حديثه عن جماعة ابولو لان الشاعر احد اعضائها (٣) . ويبدأ حديثه عن ناجي ذاكرا انه كان اشد تأثيرا في الشبان من رائد الجماعة احمد زكي ابو شادي ، لانه جارى طبعه وغذاه بمطالعاته في الاداب الغربية فتميز بالطابع الوجداني وبالحب المثالي واشواق الروح ، ثم تحدث عن حياته لينتقل من ذلك الى الحديث عن شعره ودواوينه .

فشعر ناجي يدور حول الحب وتباريحه والاشواق اليه ، ومع ذلك لا نمل حديثه ، لان الشاعر كالنحلة التي تطير من زهرة الى زهرة ، وتأتينا من كل زهرة بعطرها الخالص . ويركز نقده حول طبيعة ناجي ، ولذا جاء نقده منصفا بعيدا عن التحامل ، ويعرض قصيدته « العودة » ويحسبها من روائع النغم في الشعر العربي الحديث ، وهي « تقطع بأن الدعوة الى التجديد كانت قد نضجت واستقام فهمها ، وذلك لان القصيدة تندرج تحت فن عربي قديم رائع هو فن بكاء الديار . ومع ذلك اي جدة في هذه القصيدة واي أصالة واي جمال في هذا التصوير البياني الرائع الذي جسم المعنويات اروع تجسيم واقواه » ، ومضى مندور يستعرض بعض تلك الصور .

ويصاب المرء بالدهشة والاستغراب عندما يقرأ نقد الاول فيجد فيه ازراء وتهجينا ، وكأنك بازاء انسان لا يحسن قول شيء ، وتقرأ نقد الثاني فتجد شيئا اخر تماما ، اذ يشهد له بالاصالة والابتكار والبراعة .

وجاء نقد مندور هادئا مركزا فيه تحليل وتعليل وان عنف الى حد ما في رده على طه حسين حيث يذكر بانه على الرغم من انه من كبار الادباء لكنه لم يستطع ان يتحرر من معاجم اللغة ودلالاتها المتحجرة ، وهو في نقده يجري على منطق الفقهاء ، « وهو ابعد ما يكون عن الفهم الدقيق

يا ريف

★

يا ريف انقذتني من ضنك حاضرة	ومن ضجيج بها يطغى على الفكر
فالله في قريتي لا غيره ابدا	انا اسبح والعصفور في الشجر

★ ★ ★

البدر في الليل يلقاني بمفرده	والشمس في الصبح تهفولي ببسمتها
هذي الطبيعة تصفو لي بهداتها	كانما لي واحدي حلو بهجتها

السعودية — علي دمر

لحقائق النفس البشرية » وقد جاء رده فيه انصاف للشاعر وللغة الشعر .

ولننظر اليه وهو يرد على بعض ما اثاره طه حسين في نقده السابق :

ـ « فالسأم كما يكون نتيجة لفراغ النفس من كل فكر واحساس قد يكون ايضا من اطالة التفكير واجتراره، بل قد يكون منصبا على السأم نفسه . كما ان التعبير بالقدم التي تجر صاحبها تعبير رائع ودقيق لانه يوحي بالحالة النفسية التي كانت مسيطرة على الشاعر اكبر الايحاء ، فهو لا يسير عن قصد وارادة وهدف ، بل يتحرك في شبه آلية ، وعندئذ تجره قدمه لا العكس » .

ويخرج مندور من ذلك الى ان موضوع الغرام او الشوق اليه او الاحتراق بلواعجه لم يكن ولن يكون وقفا على ناجي ، ولكن ميزة ناجي انه استطاع ان يستخرج من هذه المشاعر العامة الدارجة فنا رفيعا ، وان يواتيه في هذا الفن طبع اثيري خفيف بل ساذج احيانا سذاجة حلوة تشرق من خلال تعابيره المصورة اشراقة نضرة كوجه الطفل . ثم يعرض لابيات تصور ذلك من قصيدة «الوداع»

ويختم بملاحظة وردت للسيدة نعمت فؤاد في كتابها عن ناجي تعيب فيها قوله : « واذا الفجر مطل كالحريق » قائلة بان الفجر لا يمكن ان يشبه الحريق وهو بطبيعته ندي ورطب . ويرد عليها بان الشاعر لا يقصد الفجر الذي تعرفه ، وانما يتحدث عن الفجر الذي وضع حدا لليل الجميل الذي يضمه هو وحبيبته ، فراى في ضوء الفجر حريقا يوشك ان يلتهم لحظات السعادة التي كان ينعم بها في ظلال الليل ، « وهذا التعبير وحده يعدل ديوانا من الشعر التقريري الدارج » .

★ ★ ★

ان نقد مندور فيه انصاف وحيدة ، وسوق الاحكام مبررة تبريرا فنيا ، بعيد عن الاهواء ، ولذا جاء موضوعيا مركزا ، نستطيع من خلاله ان نتعرف على شخصية الشاعر من خلال شعره ، بل انه القى بعض الاضواء على اسلوب ناجي في فن التعبير مما يساعد على تفهمه والاقبال عليه، وان جاء نقده خاليا من ذكر اي مأخذ ، ولو ذكره لما انتقص من قدره في شيء ، وكأننا نرى ناجي يحلق مرتفعا في سماء النقد عند مندور .

اما طه حسين فقد تحامل عليه في قسوة ، وجاءت احكامه عامة ، وحتى عندما اثنى عليه فاننا نشعر انه اشبه بالصقر الجارح الذي اخذ الفريسة بين مخالبه ، وحلق بها عاليا ، ثم تركها تهوي بين القمم لتسقط اشلاء متناثرة . ولعلها كانت احدى بدوات طه حسين في زمن كانت الحدة هي طابع كل شيء فيه .

١ ـ انظر حديث الاربعاء للدكتور طه حسين ج ٣ ص ١٥٠ ـ الطبعة العاشرة ـ دار المعارف بمصر .

٢ ـ المرجع السابق ص ١٥٢ .

٣ ـ انظر : الشعر المصري بعد شوقي الحلقة الثانية للدكتور محمد مندور ص ٨١ ـ دار نهضة مصر .

المنصورة ـ مصر — متولي محمد البساطي

الشاعر الياس قنصل بين الذكرى والنسيان

١٩١٤ – ١٩٨١

بقلم : الدكتور محسن جمال الدين

* * *

لا ادري كيف عن" بخاطري منذ سنوات قريبة العهد ، ان اكتب كلمة عن حالة ادب المهجر ، الذي عشقته ، وحفظته ، واقتنيت بعض ما نشر عنه وله من دراسات وابحاث ومقالات ومؤلفات . وراسلت نخبة من رجاله الذين احببتهم ، وقدرت ادبهم ، واكبرت حياتهم ، وعظمت جهادهم ، في سبيل اللقمة ، والكلمة ، وفي سبيل الحرية والانعتاق . ودامت بيني وبين من راسلتهم وراسلوني صلة المودة ، وروح الاخاء . على تباعد المسافات ، وصعوبة الظروف ، ومشاكل الحياة .

كانت تلك المقالة الصغيرة بعنوان (الادب المهجري) بين ما ضيه وحاضره ، قد نشرت في (الاديب) لشهر نوفمبر سنة ١٩٧٣ . واصبحت باعثا لفاتحة مراسلات بيني وبين الاستاذ الشاعر الملهم المرحوم الياس قنصل . الذي كرمني بلطفه وقرأ كلمتي المنشورة في ندوته ، مع نخبة من اخوانه واخواته من ادباء واديبات المهجر في الارجنتين .

ولم تمض الا شهور قليلة حتى وردتني رسالة مرسلة من الندوة الادبية عن طريق الاخت الفاضلة الاديبة دلال كباس .

واستمرت المراسلات والكتابات بيني وبين الشاعر الياس قنصل الى اشهر قليلة من وفاته . ولقد زار العراق ، واطلع على ما فيه من تقدم وحضارة واداب . واخذت وزارة الاعلام والثقافة العراقية على نفسها مسؤولية طبع بعض مؤلفاته . وكرمت فيه ادب المهجر وصدق العروبة في نفسه وادبه ، ودفاعه عنها بما كتبه ونشره ونظمه في تكريم لغة الضاد ، مع شقيقه الشاعر الكبير زكي قنصل الذي لا يقل عنه اندفاعا وعبقرية شعرية ، لانهما ينهلان من معين عذب نمير ، لم تشبه لكنة الاجانب ، ولم تدنسه كلمات الذل والخداع .

وكم حز في نفسي يومذاك ان لا اراه ، وهو ضيف في ديار اهلي واهله بلد الرافدين ، وهو في زيارة وطني ووطنه الثاني قطر العراق ، لظروف كانت خارجة عن ارادتي .

وانني اذ استعرض صورة الشاعر الياس قنصل تجدني قد دهشت من خبر موته المفاجىء . وهو بصحة جيدة ، ولا ادري لعل في لفظة هذه (الدهشة) شيئا من المبالغة !! لان الموت لا يعير اهتمامه عندما يسطو على الاجساد ولا يفرق بين من كان بصحة حسنة ، او بعلة مزمنة . وصدق الشاعر بقوله : « اخذ السمين وعوفي المهزول » .

* * *

كان الشاعر قنصل نشطا ، دائم الكتابة شعرا ونثرا . فماصدر ت مجلة جديدة في الوطن العربي والمهجر ، الا ووجدت رائعة شعرية من روائع شعره . او مقالة او قصة او رسالة ، من بدائع قلمه المبدع ، وخياله السامق .

كان – رحمه الله – حريصا على تخير المفردات العربية الواضحة ، والمعاني الكريمة الاصيلة ، ينتقي من تراث اللغة العربية ، ما يراه اهلا للخلود والبقاء ، مقاوما للاندثار والفناء .

كتب بحثا جامعا شاملا في مجلة (الفيصل) بعنوان (الشعر الاصيل . والشعر الحديث) – العدد ٣٩ السنة الرابعة ١٩٨٠ تكلم فيه عن بعض القضايا الادبية التي تخص الشعر القديم – والحديث . منها :

١ – المآخذ على القديم بما يدعي خصومه .
٢ – النقد للحديث بما يراه الشاعر .
٣ – الترجمة الشعرية ومشاكلها .
٤ – الوزن والقافية واثرهما .
٥ – خصوم العربية واعداؤها .
٦ – اللغة العربية وانتشارها .
٧ – قضية الشعر الحديث وتراثنا الخالد .
٨ – اندفاع الشباب وحماسهم .
٩ – شعر المناسبات واثره .
١٠ – مظاهر الحياة وصورها .

ويلذ لي ان اقتبس بعضا من مقاطع بحثه القيم اذ قال عن (اللغة العربية) :

« آن الضاد التي قدرت على ان ترافق امتها في جميع ادوار التاريخ ، ستماشي هذه الامة في مراحلها الى الامام . لانها جزء منها تكشف لابنائها كل يوم دنيوات جديدة تعمر بأشكال من الروائع » .

ومما ذكره عن (التراث العربي) قوله :

« انهم تأكدوا من ان هذا التراث هو الذي حمل

نبل العروبة الى انحاء الارض ، ورفع عن النفوس ظلمات من الجهل والهمجية . وما دام هذا التراث حيا في خواطرنا فلا خطر على تيار المجد الذي يتدفق في بنيتنا . وقد تلاقي في مسيرتها عثرات وعثرات ، بيد انها لن تترنح ولن تتهاون ، لانهم علموا ان تراثنا هو النبالة مجسمة تتعزز فيها اركان الاخلاق ، وتبنى عليها صروح السيادة والكرامة » .

وتكلم عن (شعر المناسبات) مدافعا عنه بقوله :

« لو كنا منصفين لوجب ان نشكر للمناسبات ما اتاحته لنا – وللخلود – من قطع فنية . لولا المناسبات القومية والاجتماعية لما تسنى لشعراء المغتربات الاميركية ان يؤدوا الرسالة التي ادوها ويسجلوا المغامرة الفكرية التي لا شبيه لها في آداب العالم .

وختم حديثه عن (مظاهر الحياة) اذ قال :

« من علامات الشاعر الحقيقي انه يمر بالمشهد الذي يمر به الناس ولا يرون فيه الا صورا لا تستحق ان تشغل فسحة من تفكيرهم ، فيرى هو مشاهد فنية تتلاحق زاخرة فيعرضها من خلال الكلمات عرسا للفكر والقلب » .

واردف قوله :

« ان لم نكتشف مظاهر الحياة في مظانها ، فالذنب علينا لا عليها ، عيوننا هي القاصرة ، وخيالنا هو العاجز » .

واشار الى مدعي الهام الشعر العربي ، وهو براء منهم ، والى خصوم اللغة العربية واعدائها بقوله :

« ذلك الهراء الذي يدعيه اعداء الشعر العربي الاصيل ، جاعلين من ابياتهم (اعياد مساخر) كلمات وافكار هي براقع من الورق الملون ان غسلتها حالت بين يديك هباء مبلولا ! »

ومن روائع شعره في اواخر سني حياته قصيدتان الاولى بعنوان (خالد بن الوليد) والثانية (بيتي) نشرهما في مجلة (الفيصل) لسنة ١٩٧٩ م – العدد ٢٣ والعدد ٣١

ويطيب لي ان اقتطف بعض نماذج من رائعته الاولى التي صورت شخصية قيادية اسلامية عربية فريدة في عالم المعارك ، والشجاعة ، والبسالة اليعربية . قال في مطلعها :

رفعت لمجد العرب ذكرا مخلدا ... وكنت لدين الله سيفا مجردا

ومنها :

كتاب تمنى الدهر بعض خلوده ... بسوراته ليل الفساد تبددا

ومنها :

تعد عتاد الحرب غير مقلد ... وتنجز اسلوب الهجوم مجددا
اذا ضرب الاعداء للكاس موعدا ... ضربت بساح السيف والرمح موعدا
وما خسرت كفاك حربا كانما ... عقدت وغار النصر حلفا مؤبدا
جراح غدت من مجدها كل قطرة ... وساما على صدر العروبة سرمدا

ومنها :

صحابك بين الفتح والحكم معشر ... تبارت سجاياهم جهادا وسؤددا
كنوز الثرى ان يرغبوا رهن امرهم ... وما بسطوا الا لمكرمة يدا
باخلاقهم ساسوا النفوس فاذعنت ... وامسى طريق النبل فيها ممهدا

ومنها :

احبوا ضمان الخير باللطف والنهى ... وراحوا ينادون الشعوب توددا
على سنن الاصلاح قام نظامهم ... وبالعدل والتهذيب بات مؤيدا
تفجر ينبوع المساواة منهم ... فطاب حياة مثلما لذ موردا
فما عرفوا في الجد فقرا وثروة ... ولا عرفوا في الخلق عبدا وسيدا

وختمها بصيحة عالية :

الا قائد ثان لامة يعرب ... يحرك فيها عزمها المتجمدا
تتالت عليها الحادثات وزعزعت ... بناء على اس الكفاح توتدا
يخادعها النذل الذي كان جده ... كما هو ، من سامي الصفات مجردا
الا قائد ثان يداوي اعتلالنا ... ويجعل دنيا العرب صفا موحدا
الام نغض الطرف عن ربوة العلى ... ونلبث في سفح الكلال ترددا
اما حان ان نجري على نحو خالد ... اما حان ان نرضي النبي محمدا ؟

* * *

اما قصيدته الثانية (بيتي) فهي من الادب الذاتي الوجداني الفريد ، يعطي ما للبيت من قيمة – وهو جنة الانسان – كما قالوا اذا كانت الاسرة متماسكة ، والزوجة صالحة والزوج حكيما ، والابناء مخلصين ! والحياة هنية مستقرة فيه ، بعيدة عن الحوادث والدماء والدموع والاوجاع !!

قال في مطلعها :

بيتي وكم بيت يماثله بما ... فيه من الاحجار والاخشاب
لكنه في خاطري ذخر اذا ... ثمنته لم ينحصر بحساب
هو متحف للذكريات اروده ... خلوا من الحراس والحجاب
آوي اليه ان الم بي الاسى ... وتجهمت بالنائبات شعابي
ان ابتعد عنه فليس يلذ لي ... ما ابتغي من ماكل وشراب
ويهزني طرب اليه حافل ... وتشوق ينساب في اعصابي
آثاره تاريخ عهد فائت ... كان الرواء به وكان شبابي
لو اغمضوا عيني شممت مكانها ... فمكانها في مهجتي وصوابي

ومنها :

بيتي وليس فخاره ما فيه من ... لبن وما يحويه من ابواب
هو من يشاركني مدى العمر الذي ... القيه بين رفاهة وعذاب
هو من يحط تعاستي عن كاهلي ... ويعيد لي بسمات ماض خاب
ويرد ما سلبته مني ضجة ... عاشت بظفر في الفؤاد وناب
ما فيه زاوية خلت من لفتة ... متت الي باوثق الاسباب
هذي الرفوف وكم سالت ضيوفها ... فاذا طرائفهم اجل جواب
هذا السرير وكم رآني ساهرا ... متقلبا في قبضة الاوصاب
هذي الدواة وكم ظننت بناتها ... دررا ولم يك ثم غير تراب
اني لتجمعني اليه الفة ... اسمى من التقدير والاعجاب

وختمها بقوله :

بيتي فضيلته نباهة مدرك ... ما في العدول عن الندى من عاب
هو في مساحته الضئيلة ضيق ... لكنه ما ضاق عن اصحابي

* * *

ان قضية اللغة العربية في المهجر العربي ، تعتبر من اهم قضايا الصراع مع اللغات الاجنبية الاخرى . ولقد نادى الكثير من ابناء المهاجرين المغتربين ، ومن قادة فكرهم هناك بان عليهم الحفاظ على تلك اللغة ، وصيانة ذلك الادب ، الذي تميزوا به وعرفوا في ميدانه . والذي يمتهم

بصلة الرقابة والنسب بجذورهم العربيـة وباخوتهم في المشارق والمغارب !!

اليس عجيبا ـ مثلا ـ الا يخلف شاعر كأبي ماضي ابنا يتكلم اللغة العربية بطلاقة او سهولة ـ كما يتكلم الانكليزية ؟

اليس غريبا ان رواد تلك القوافل العربية الفريدة ، الذين اشادوا صروح المجد العربي الادبي في الولايـات المتحدة ، واميركا اللاتينية ، لم يبـق من صروحهم الا الاطلال التي توشك على الفناء والاندثار ؟

كم نادى الاخوان الشقيقان الشاعر الياس قنصل وزكي قنصل بحماسة وجدية حول معالجة هذه الحالة ، ودعوا اخوانهم العرب المسؤولين وغير المسؤولين ، لانقاذ ما يمكن انقاذه ؟

كم كتب الشاعر المرحوم جورج صيدح والشاعـر القروي والياس فرحات وآل المعلوف حول هذه المشكلة ؟ وكم حرر الاخ الدكتور عيسى الناعوري امين سر مجمع اللغة العربية في الاردن ، من بحوث ودراسات حـول المهجريين وادبهم ومستقبل حياتهم ؟ وكم اصدرت مجلة (الضاد) الحلبية لصاحبها الاستـاذ الشاعر عبد الله يوركي حلاق من اعداد خاصة بشعرائهم وادبائهم وحياتهم؟ وكم اشار الاديب الكاتب المرحوم البدوي الملثم في كتاباته عنهم عما يلاقونه ، وما يحيط بهم من اوضاع اجتماعية ، وسياسية ، وصحافية ؟ وغير هؤلاء الاخوة ، في العراق ، ومصر ، وسورية قد كتبوا ودرسوا قضايا المغتربـين العرب .

★ ★ ★

ان من صالح خصوم المهاجرين العرب ـ من اعداء الوطن العربي ـ ان تضعف شوكة اخوتنا السياسيـة هناك وتنطفىء شعلتهم الادبية. وتموت صحافتهم العربية، ويتلاشى وجودهم العلمي ، وصرحهم الادبي ، في تيارات المجتمعات الاوربية والاميركية ـ وكذلك القارة الافريقية السوداء .

ونحن اذ نركز دائما على جاليـات المهاجريـن في الاميركتين ، يجب ان لا ننسى الدرس والعناية والبحث والحديث عن ادباء المهاجرين العرب في اماكن من القـارة الافريقية السوداء . فان لديهم الكثير من الاثار الادبية والشعرية التي تحتاج الى دراسات جامعية وميدانيـة . والذين تزخر بانتاجاتهم الادبيـة وقصائدهم الرائعـة صفحات المجلات (كالعرفان ، والاديـب ، والاداب) ، وغيرها في سنواتها الماضية .

★ ★ ★

كانت هجرة المرحوم الياس قنصل سنة ١٩٢٤ الى الارجنتين على حد قول المرحوم جورج صيدح ، في كتابه عن ادب المهجريين واشتغل في عالم التجارة المتجولة ، ثم انصرف للصحافة ، فاصدر سنة ١٩٣٧ ـ ١٩٤٠ مجلة (المناهل) . ووصف صيدح شعره بقوله : « تعجب بالعاطفة الوطنية الملتهبة ، وبالفكرة المنطلقة على الصراط المستقيم » .

« اما آثاره النثرية فأغنى بالجمالات ، فيها يسيطر الكاتب على البيان ، ويلبس المعاني ما شاء من الحلل والالوان . ويشغف القارىء برشاقة الاسلوب ، واناقة التصوير وحرارة الحوار وطرافة الحوادث والمفاجآت » .

ترك الشاعر الياس قنصل من الاثـار الشعرية والنثرية المطبوعة في المهجر ، والعراق ، وسوريا ، وتونس العديد من المؤلفات ، ومن دواوينه المعروفة :

١ ـ الاسلاك الشائكة .
٢ ـ السهـام .
٣ ـ على مذبح الوطنية .
٤ ـ العبرات الملتهبة .
٥ ـ بسمات الفجر .
٦ ـ رباعيات قنصل .

ومن آثاره النقدية ، والقصصية ، والفكاهيـة ، والصحفية :

١ ـ في سبيل الحرية .
٢ ـ على ضفاف بردى .
٣ ـ ادب المغتربين .
٤ ـ بين معارك الثورة .
٥ ـ العبقري المجنون .
٦ ـ في مهب الريح .
٧ ـ البقايـا .
٨ ـ اصنام الادب .
٩ ـ عساف شوفان .
١٠ ـ صديقي ابو حسن .
١١ ـ غالب افندي المغلوب .
١٢ ـ من مناهل الحياة .
١٣ ـ هنـا وهنـاك .
١٤ ـ مجلة المناهـل .

والان وقد ودعنا الشاعر المهجري العربي الصديق المرحوم الياس قنصل اترانـا نذكـره دائما في نفوسنا ، وقلوبنا وعقولنا وفي دراساتنا وادابنا وجامعاتنا ام ترانا ننساه ـ كعادتنا ـ في نسياننا لنوابغنا ورجالنا ، الذين خدموا الامة العربية بتجرد واخلاص . في اقلامهم وادابهم واشعارهم ونثرهم خدموها بشجاعة ، وصبر ، وبسالة ، وتجرد ، لا تقل عن بسالة الشجعان ، وصبر البواسل ، وتجرد الكرام ، الذين يرابطون في الثغور والجبهات ، بيقظة وحذر ، ويقاتلون اعداء الامـة والوطـن العربي بارادة وحماسة ويصدونهم دفاعا عن عروبتهم ولغتهم وقوميتهم وتاريخهم .

قلبي والحبيب

القلب يسحره الحبيب ... ويهزه امل عجيب
فكانما هو شادن ... يشدو بالحان طروب
فمضى يصيح كانما ... جن الصغير فلا رقيب
قد قال هذا شعرها ... ذهب الاصيل ولا لغوب
والغصن يحكي خطوها ... او ما تراه بدا يذوب
قد جن قلبي لا محا ... لة .. او ارى هذا قريب
ما لي اراه يهيب بي ... داني اللقاء ولا غريب
فاريح كفي فوق صد ... ري كي يكف ويستجيب
لكنه كالطفل يص ... رخ في عناد .. لن اجيب
وارى الحبيب يهل من ... بعد تسابقه الطيوب
فيصيح قلبي ها انا ... ويفر يتركني سليب
يجري فيسكن في ثنا ... يا صدرها فعل الاريب
فاذا انتهى زمن اللقا ... ء .. وهبت قلبي للحبيب

طنطا – مصر

عبد الله السيد شرف

وليس لنا من تحية نقولها في شاعر عزيز صديق عبقري اجمل من قول شاعر الرقة والعذوبة الشاعر العربي الكبير المرحوم الاخ بدوي الجبل في احدى روائعه الخالدة في رثاء شاعر مثله اذ قال :

لا الامس يسلبك الخلود ولا الغد ... هيهات انت على الزمان مخلد
تتجدد الدنيا وقلبك وحده ... دنيا تعيد شبابها وتجدد
في كل قافية حياة تجتلى ... ومنى تضوع وزهرة تتردد
العبقرية شعلة من نارها ... حمراء ناضرة اللظى تتوقد
والشعر والنغم الشجي ورحمة ... تسع الوجود ونغمة تتوعد

★ ★ ★

يا شاعر الدنيا نديك حافل ... والجمع مصغ والمواكب حشد
يتنظرون السحر من جباره ... هيهات دون السحر باب موصد
يشكى اليك وانت رهن منية ... وتزار في عنت الخطوب وتقصد
ولقد يرجى السيف وهو مثلم ... ولقد يهاب الليث وهو مصفد
فاذهب كما ذهب الربيع على الربى ... منه يد وعلى القلوب له يد

★ ★ ★

سلاما وتحية لادباء المهجر ومحبيه !! ولاخي الشاعر العزيز الصديق ، وعطرا وزهورا لارواحهم الطيبة ، ونفوسهم الكريمة !! وتقديرا واجلالا لافضالهم على اللغة العربية وتاريخها وادابها ، فلولاهم لما وجدنا هذه الروائع من آثارهم ولولا جهادهم العظيم ما نعمنا ببدائع نثرهم واشعارهم .

وارجو الا تطوى صفحاتهم المجيدة بيد النسيان . وتتوارى اثارهم الخالدة بتراب الاهمال وتقلب الدهور والازمان .

اهم المراجع

١ – ادب المهجر – للدكتور عيسى ابراهيم الناعوري ط – ٣ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٧ م

٢ – ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية للاستاذ جورج صيدح – ط ٣ – دار العلم للملايين – بيروت لبنان – ١٩٦٤ .

٣ – ديوان بدوي الجبل للشاعر بدوي الجبل – ط ١ دار العودة بيروت لبنان – ١٩٧٨ .

٤ – مجلة (الفيصل) السعودية – الرياض – الاعداد :
العدد ٢٣ سنة ١٩٧٩ م .
العدد ٣١ سنة ١٩٧٩ م
العدد ٣٩ سنة ١٩٨٠ م .

٥ – رسائل شخصية .

٦ – مجلة الاديب – سنة ١٩٧٣ وسنوات اخرى .

محسن جمال الدين
جامعة بغداد – كلية الاداب

نظرات في قصيدة حلم البعث لعبد الرحمن شكري

(١٨٨٦ – ١٩٥٨ م)

بقلم الدكتور محمد سعد حسن فشوان

★ ★ ★

نبغ عبد الرحمن شكري في الشعر صغيرا ، ونظم في الموضوعات الجديدة ، محتذيا شعراء الافرنج ، والف كتابا في الشعر نم عن اطلاعه الواسع في هذا الباب ، وقد تحدث عن وظيفة الشاعر طويلا ، وحمل على شعراء الصنعة الكاذبة ، والبهرج الزائف ، واشاد بالشعر الذي يتفق على نسجه الخيال والفكر ، ايضاحا لكلمات النفس، فالشعر عنده كلمات العواطف والخيال السليم .

وقد لفت شكري بحديثه عن الشعر ، وبنظراته الصائبة في الادب عموما ، وبنبوغه في قرض القصيد انظار الباحثين والدارسين ، ولا يزال فكره وادبه قبلة النظار حتى اليوم .

قال عنه الدكتور مندور في كتابه عن الشعر المصري بعد شوقي : « انه شاعر التأملات والاستبطان الذاتي » وتحدث عنه وعن شعره ايضا في هذا الكتاب .

ويقول الدكتور احمد زكي ابو شادي عنه ايضا : « عني شكري بالجانب الفكري والتأملي ، وبتجديد ما خلفه امثال المعري وابن الرومي وجون ملتون وغيرهم ، وبالمزاوجة بين هذه التأملات الفكرية والنفسية والتأثرات الوجدانية ، والانطباعات الصوفية والعاطفية والطبعية .

واذا كانت وثبات مطران الرومانسية قد شجعته ، وربما ألهمته ، غير انه بدل ان يعب من الادب الفرنسي كما صنع مطران لجأ الى الادب الانجليزي من منابعه الاصيلة (١) .

وقال عنه الدكتور شوقي ضيف : لعل مصر لم تعرف في تاريخها شاعرا متشائما ضاق بكل ما حوله حتى ضاق بنفسه ايضا مثلما عرفت عبد الرحمن شكري ، ودواوينه تصور لنا قصة سوداء من التشاؤم ، فقد تراكمت الظلمات من حوله ، واسودت الدنيا في عينيه ، وتعقدت نفسه تعقدا شديدا يشبه ان يكون محنة . . »

وقد تحدث الشاعر عن نفسه في كتابه « الاعترافات » الذي الفه على لسان صديق ، وجزم صديقه المازني بأن هذه الاعترافات هي اعترافاته نفسه : « كان رحمه الله شابا يحب القراءة والتفكير ، وكانت تلوح في عينيه علامات السأم والحزن والتفكير ، وقد تقلصت شفته السفلى تقلص السخر ، ولكن كان يلوح على وجهه بالرغم من ذلك كثير من الحنان ، رقيق القلب ، واحيانا كنت لا ترى في وجهه شيئا من الحزن والالم .

وفي بعض الاحايين كأن وجهه مثل السماء التي تراكمت سحائبها ، وتلبدت غيومها ، وكأن كثير من الناس يسيئون به الظن فهم اساءوا فهمه فأساء فهمهم كما هي الحال بين الناس قاطبة ، كان احيانا شديد التواضع ، واحيانا شديد التكبر ، كان لا يعرف كيف يعاشر الناس ويداريهم ويأخذ ما صفا ويتغاضى عما كدر ، ويحتال للحياة لاستجلاب السعادة ، فضاقت بنفسه الصحراء بعد ان ضاقت بها المدن كما يقول هو عن نفسه » .

فشكري في هذه السطور يطلعنا على جانب من حياته ، ويظهر لنا كيف كانت حيرته وضجره ، وكيف كان تألمه من نفسه ، وتبرمه بمن حوله ، حتى انه ليطلب بيئة غير بيئته ، وعالما آخر غير عالمه ، فتشاؤمه ويأسه لا ينبعان من نفسه وحدها ، بل منها ومن مجتمعه أيضا .

هناك عدة عوامل اثرت في نفسية شكري ، وصبغتها بتلك الصبغة التشاؤمية ، النافرة من الحياة ومن الناس، وجعلته شديد الاحساس فبكى في ضحكه ، وضحك في بكائه ، واكثر من التضجر والشكوى ، وبرم بالحياة وبالناس ، وزاد من حساسية نفسه المتشائمة ما كان يقراه في الاداب الغربية ، حيث كان يؤثر في قراءاته شعراء الحركة الرومانسية الذين ادركهم نفس الداء ، هذا بالاضافة الى ايثاره شعر ابن الرومي وابي العلاء ، حيث صادف شعرهما هوى في نفسه ، وكان شعرا مملوءا باليأس ، طافحا بالالم ، مجللا بالتشاؤم ، ولا نستبعد بعد ذلك ان تكون الاحوال المتقلبة بينه وبين زميله المازني قد تركت في نفسه جرحا غائرا ، لم تداوه تلك المصالحة التي سعى العقاد اليها ليجمع بين الصاحبين ، فاصطبغت روحه بتلك النزعة ، وامعن في التشاؤم والسخط ، واليأس والحيرة ، والشك والقلق .

ولا ندعي في هذه الدراسة اننا سنحلل نفسية شكري التحليل الواسع المستقصي ، الذي نقف من خلاله على اسرار تلك النزعة عنده كاملة ، ولكننا نلقي الضوء على بعض اسرار حياته ومحنته ، من خلال قصيدة له بعنوان « حلم بالبعث » يقول فيها :

رأيت في النوم اني رهن مظلمة ... من المقابر ميتا حوله رمم
ناء عن الناس لا صوت فيزعجني ... ولا طموح ولا حلم ولا كلم

مطهر من عيوب العيش قاطبة   فليس يطرقني هم ولا الم
ولست اشقى لامر لست اعرفه   ولست اسعى لعيش شانه العدم
فلا بكاء ولا ضحك ولا امل   ولا ضمير ولا ياس ولا ندم
والموت اطهر من خبث الحياة وان   راعت مظاهره : الاجداث والظلم
ما زلت في اللحد ميتا ليس يلحقني   نبح العدو وبي عن نبحه صمم
مرت علي قرون لست احفظها   عدا ، كان مر بي الاباد والقدم
حتى بعثت على نفخ الملائك في   ابواقهم وتنادت تلكم الرمم
فذاك يبحث عن عين له فقدت   وتلك تعوزها الاصداغ واللمم
وذاك يمشي على رجل بلا قدم   وذاك غضبان لا ساق ولا قدم
ورب غاصب راس ليس صاحبه   وصاحب الراس يبكيه ويختصم
ويبحثون عن المراة تخبرهم   عن قبح ما تترك الاجداث والعدم
جاءت ملائكة باللحم تعرضه   ليلبس اللحم من اضلاعنا الوضم
رقدت مستشعرا نوما لاوهمهم   اني عن البعث بي نوم وبي صمم
فاعجلوني وقالوا قم فلا كسل   ينجي من البعث ان الله محتكم
قد مت ما مت في نوم وفي دعة   وقد بعثت فماذا ينفع الندم
استغفر الله من لغو ومن عبث   ومن جناية ما ياتي به الكلم (٢)

* * *

قد تكون الابيات في مجموعها صورة ساخرة من مسألتي البعث والحساب ، وقد يطعن على الشاعر في تدينه ، غير ان ما ورد في البيت الاول من كونه راى ذلك مناما يخفف من امر الطعن عليه في قصيدته ، وربما احس الشاعر بمثل ما احسسنا به ، فكان بيته الاخير :

استغفر الله من لغو ومن عبث   ومن جناية ما ياتي به الكلم

والابيات في جملتها من الشعر الرومانتيكي المغرق في الحديث عن الذات ، وفيما يعانيه الشاعر من آلام واحزان ، وقد كان شكري وزميلاه (المازني والعقاد) من رواد الحركة الرومانتيكية في ذلك الحين ، على ان رومانتيكيتهم كانت تختلف عن رومانتيكية مطران ، ثم عن رومانتيكية شعراء ابوللو من بعد .

فالرومانتيكية عند شكري وزميليه قد تأتي العاطفة فيها وراء الذهن ، على ان العاطفة حين تتضح تكون من لون مفعم باحاسيس الاسى ، مليء بمشاعر المرارة الجياشة بالحزن والضيق ، الذي يبلغ احيانا حد اليأس، وكثيرا ما كانت تطغى على اشعارهم في تلك الناحية برودة الذهن وجفاف العقل ، ولكن يبقى طابع النفس الانسانية وقلقها وعدم رضاها وطابع الفكر الممزوج بالعاطفة او العاطفة التي يساندها الفكر هو الطابع الغالب على شعر هؤلاء بينما مال غيرهم الى تجنيب شعرهم الرمانتيكي عن تلك النزعة الذهنية .

وكان شكري وزميلاه يحاولون النفاذ من الامور الى الجوهر ، غير مكتفين بالظواهر ، ولا واقفين عند المحسوسات ، يفعلون ذلك ، وان ادى الى برودة الشعر او افضى الى شيء من الجفاف فيه .

* * *

وقد برع شكري في رسم الظاهرة الحركية على هذا النحو الساخر ، فالابيات في جملتها صورة مفعمة بالمؤثرات النفسية الكابية ، والساخرة ايضا ، والتي تعطي للصورة كل ابعادها لتظهر كما عاشت في ذهن الشاعر وترددت فيه .

وفي راينا ان شكري قد تأثر بابن الرومي ، وكان ممن قرأ شعرهم وتأثر بهم كما قدمنا ، وكانت براعة ابن الرومي في التصوير محط انظار الناس في عصره ، وبعد عصره ايضا .

والتعبير بالصورة فن جميل ، يبث في الشعر الحياة والحركة ، ويجعله يتدافع الى نفوسنا على غير استئذان، ولا شك في ان المرء يدرك في هذا النمط الشعري لذة ومتاعا ، وتلك وظيفة الشعر كما كان يراها شكري ، وانبأنا عنها في العديد من مقالاته ودراساته الجيدة ، فلقد كان من رأيه رحمه الله ، ان الشعر هو ما اتفق على نسجه الخيال والفكر ، ايضاحا لكلمات النفس ، وان الشعر هو كلمات العواطف والخيال والذوق السليم ، فأصوله ــ عنده ــ ثلاثة متزاوجة، وعنده ايضا ان الشاعر هو الذي لا ينظم حتى تنوبه تلك النوبة التي تدفعه الى قول الشعر بالرغم منه في الامر الذي تتهيأ نفسه له .

* * *

والشاعر في هذه القصيدة يفرغ ما في جعبته من كل المؤثرات النفسية التي تشكل احاسيسه المتراكبة بكل ما فيها من اسى وحزن وتشاؤم ويأس .

فهو يدير ظهره للناس ، ويصم اذنيه عنهم ، ثم لا يضغط على اعصابه بالتفكير في شيء ، اي شيء ، ولا يرنو الى رغبة يود لو تتحقق له في المستقبل القريب او البعيد ، فلا احلام في حياته ولا كلام .

وهناك كلمات لا تقف عند البعد الظاهري لها ، بل نجد فيها من الايحاء ما يجعلنا اشد استمساكا بها في في موضعها ، ومن امثلة ذلك : « مطهر » من عيوب العيش قاطبة ، ففي الموت « طهر » ونقاء من عيوب الحياة ، وما فيها من اوصاب ، وما اكثرها في نظر الشاعر ، وقد اكد هذا المعنى حين قال في البيت السادس :

والموت اطهر من خبث الحياة وان   راعت مظاهره : الاجداث والعدم

ومن ذلك لفظه « نبح » في البيت السابع التي تؤكد ان اعداءه كلاب نابحات ، وهي صورة ساخرة شديدة السخر ، لاذعة شديدة اللذع بلا شك .

اما قوله : « لست احفظها عدا » بعد « مرت علي قرون » فهو تجسيد قوي للحالة النفسية المعقدة والمتراكبة في نفس الشاعر ، تلك التي جعلته ينسى الحياة ، ثم لا يذكر بعدها كم مر عليه من الدهور بعد انرزاه البين ، واصبح ميتا او في عداد الاموات .

وقوله : « ويبحثون عن المرآة تخبرهم .. » يخرج من حيز البث المباشر الى الرمز ، فهو فيما نرى يرمز الى قضية جد خطيرة في حياتنا الاجتماعية المعاصرة هي

ناعسة العينين

ناعسة العينين لا تغضبي … على سؤالاتي ولا تعتبي
فانني يا حلوتي شاعر … اصنع من سر الهوى مركبي
اخوض في البحر وان زمجرت … امواجه يوما ، ولم ارهب
وغايتي في الحب ان ارتوي … من كل ما فيه ، وذا مذهبي
وانني – يا حلوتي – لم اكن … يوما خؤونا غادر المارب
فانت في عيني قارورة … اعب منها اعذب المشرب
وانت لي اغنية عذبة … ارشف من رحيقها الطيب
وانت ان دمدم قصف الهوى … في جسمي الناحل والمتعب
وصرت اعدو في متاهاته … في ليلة الموحش والمجدب
كنت – وما زلت – لهاث الضحى … ودفقة الفجر ومسرى نبي

كربلاء – العراق

علي كاظم الفتال

قضية « المظاهر الخادعة » فالناس تغريهم او تغرهم تلك المظاهر ، او ذلك الطلاء اللامع للاشياء علما بان « المرآة » سرعان ما تكشف – ان هم نظروا اليها – عما يغلف وجوههم من بهرج زائف ، وطلاء مخادع ..

★ ★ ★

والمتتبع لديوان شكري يرى ان تشاؤمه كان تشاؤما طبعيا ، يصور النفس المصرية ، وما كان يثقلها وينقض ظهرها في تلك الحقبة من آلام ، وعلى الرغم من ذلك تفلتت منه ومضات كثيرة آملة في شعره ، وفي ذلك يقول الدكتور شوقي ضيف : « فتشاؤم شكري لم يكن تشاؤما محرقا، يريد صاحبه ان يحرق الحياة من حوله فتصبح رماداً او هباء ، وانما تشاؤما خيرا طامحا حتى ما قد يبدو عنده من شك في الدين والعقيدة نراه يعود فيخفف من حدته ، ويسلم امره لربه فيقول :

جهلنا فما ندري على العيش ما الذي … يراد بعيش نحن فيه نقاد
سوى ان عيش المرء بالشك فاسد … وان يقينا في الحياة رشاد

هو تشاؤم فيه السواد ، ولكن للبياض فيه مكانه ، اذ يشرق الامل ، ويضيء في كثير من جوانب شعره وقصيده (٤) .

هكذا كانت حياة شكري مصطبغة بتلك النزعة المتشائمة ، والنظرة الكابية للحياة والاحياء ، وقد خلدها في شعره الوجداني الصادق ، ولكنه ضواها بشعر ظهرت فيه احيانا بوارق الامل ، ولمحات الرجاء .

١ – شعراء العرب المعاصرون ، ط الاولى ١٩٥٨ ص ٤٥ .

٢ – ديوان شكري ط منشاة المعارف بالاسكندرية ١٩٦٠. ط الاولى ص ٢٤١ ، ٢٤٢ والقصيدة من ديوانه الثالث المنشور عام ١٩٥١ م بعنوان « اناشيد الصبا » .

٤ – دراسات في الشعر العربي المعاصر ط الثالثة ، ط دار المعارف بمصر ص ١٢٠. ومن مراجع الدراسة التي لم تذكرفي الهامش ايضا :

ا – دراسات في الادب العربي الحديث ومدارسه للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي .

ب – ابو شادي وحركة التجديد في الشعر الحديث للدكتور كمال نشات .

ج – الاتجاهات الفنية في شعر عبد الرحمن شكري للدكتور محمد السعدي فرهود .

د – في النص الادبي الحديث للدكتور محمد سعد نشوان .

سكاكا – الجوف – السعودية

ص ب ٢٦٩

محمد سعد حسن فشوان



سعيد ابو الحسن

نيران على القمم
سيرة ذاتية

بقلم سعيد ابو الحسن

* * *

— ٧ —

الغارات الجوية

عرمان وقتل الجنود الاتراك في مضافة ابراهيم الجرمقاني، ثم عرمان ومعركة الخراب المشهورة ، التي ابيد فيها جيش تركي ، ثم عرمان ومعركة سامي باشا الفاروقي وترويع جيشه في الكفر هذه بالذات ، وانتقامه الوحشي باعدام حملة البيرق ، ثم عرمان واسقاط الطائرة وانطلاق الثورة الجديدة وابادة كتيبة الكفر ، كل هذا ابرز اسم قريتنا وجعلها هدفا رئيسيا لطائرات الفرنسيين . ودخلنا مرحلة القصف الجوي ، كانت الطائرات تجيئنا باعداد مختلفة تتراوح بين الطائرتين والعشرين طائرة . عددتها بنفسي عشرين اكثر من مرة . كلفت نفسي مهمة رصد الطائرات ، واعطاء العلم بوصولها وهي على بعد خمسة عشر كيلومترا من القرية ، اي حينما تكون فوق الكفر . فقد كانت تلك الطائرات من ذوات المحركات والجناحين المتوازيين وكان بصري حديدا ومقدرتي على الرؤية من بعيد لا تحتاج الى دليل . ودارنا منفردة . وحينما تكون السماء صافية — وهو الوقت المفضل للغارات الجوية — كنت اشاهد الطائرات قادمة ، فأخبر اهلي فتسرع والدتي واخوتي الى الاختباء في الباكية (الاسطبل) على اعتبار ان جدرانه سميكة وكلها من حجر البازلت الاسود وكذلك سقفه ، اي انه مسقوف بالربد — وهو حجارة بازلتية سوداء عريضة مستطيلة تقوم مقام الاخشاب — ويصعد والدي الى السطح وبندقيته بيده ، كما يفعل كل رجال القرية : فالرجال المسلحون لا يختبئون ، بل يقاومون . ويبدأ اطلاق النار منذ الدقيقة التي تصبح الطائرات فيها ضمن المدى المجدي للسلاح . وهذا السلاح الالماني والعثماني المعدل كان ذا فعالية ممتازة . وقد اثبت ذلك بخاصة في معركة المزرعة . وكانت هذه المقاومة من جميع جهات القرية توقع الطائرات في الارتباك فتلقي قنابلها كيفما اتفق ، وقليلا ما تصيب اهدافها . وكنت اكثر الاحيان ابقى مع والدي ، فانا لا اريد ان اختبىء ، ولماذا اخاف ما دام والدي يطلق النار وانا الى جانبه : ولي به اسوة . وكان احيانا يشجعني بان يسمح لي بالضغط على زناد البندقية وهو يصوبها فتنطلق الرصاصة واعتز بذلك ايما اعتزاز . وقد حاولت مرة ان اطلق رصاصة من دون مساعدته فاوقعني ارتداد البندقية ارضا . لقد كنت قصيرا صغيرا في تلك السن ولا قبل لي بالبندقية الالمانية السواري .

ولكن الرجال لم يكونوا دائما في القرية ، فقد كانوا يذهبون للاشتراك في حصار القلعة . وهناك كانوا يمنعون كل اتصال بين القلعة والخارج . ويمنعون الطائرات التي تنقل المؤونة الى المحاصرين من ان تستطيع انزال حمولتها فوق القلعة تماما ، بل كانت الحمولة تقع خارج اسوار القلعة فيأخذها الثوار . وكثيرا ما اسقطوا الطائرات الناقلة . حتى اصبح المحاصرون في حالة بؤس ويأس . وعندما عاد والدي من احدى مناوباته في حصار القلعة وصل متعبا يعلوه الغبار ، فنضا عنه بعض ثيابه بعد ان علق بندقيته واحزمة الفشك ، واحضرت له والدتي الماء ليغتسل ، فتنفس الصعداء وقال :

- « انهم لا يخجلون هؤلاء الذين كان صراخهم يبلغ السماء ، لقد وجدناهم ونحن عائدون سيرا على اقدامنا، وجدناهم مقيلين تحت اشجار السنديان بين الرحى والكفر وسيجيئون غدا ويقولون انهم ابلوا حوالي القلعة البلاء الحسن . وانهم قتلوا العشرات » .

لقد قطع حوالي خمسة وثلاثين كيلومترا ذهابا منذ

ايام وها هو يقطعها ايابا اليوم . فمن حقه ان يغضب لتلكؤ البعض وتهاونهم في اداء واجبهم . قبل ، حينما كان شابا ، كان مشهورا بمقدرته على المشي حتى انه رافق في احدى المرات حملة من الخيالة سارت الى الصحراء لترد غزوا عشائريا مسلحا ، رافق الخيالة ذهابا وايابا ولم يقبل بأن يسير مع المشاة . اما الان فالامر مختلف . انه لا يملك الطاقة نفسها وفكر في ان يتصل بشريكه في الفرس ليأخذ الام او احدى بنتيها ، ولكن الخبر الفاجع ما لبث ان وردنا بمقتل شريكنا وافراسه الثلاث بقنبلة واحدة في غارة جوية تعرض لها مخيمه بسبب لجوء بعض الثوار اليه .

المهم انه ، حينما كان الرجال غائبين في مهمات قتالية ، كانت الغارة الجوية اشد فتكا ، كانت تصيب القرية فتهدم البيوت ، وتقتل الافراد ، والحيوانات . فجارنا الشاب داود ابو هدير ، الذي كان يعمل مكربلا (مغربلا للتبن) ، كان يعود من عمله ذات صباح ، وكان طريقه يمر فوق السطوح المتصلة في القسم الشمالي الشرقي من القرية ، فأصابت قنبلة السطح الذي كان عليه فطيرته ومزقته ، فسقط على الارض اشلاء جمعت في كيس ، كل عضو من مكان . والسطح الذي تهدم من الربد ، وبلغت القنبلة ارض ذلك الاسطبل ، وهدمت جدرانه . اذن ليس الاختباء في الاسطبلات مجديا . يجب الخروج من الابنية والاختباء في الكروم بعيدا عن المساكن . وهكذا صرنا نذهب الى كرمنا الشمالي (الفضيلي) وكان مسيل ماء شتوي (قناة) يخترقه من الشمال الى الجنوب محاذيا جداره الغربي . فكنا نجلس في هذا المسيل حتى تنتهي الغارة . وفي احدى المرات وصلت بعض الشظايا الى جوارنا . وكانت الشظية اوسع من الكف مهتمة الاطراف، من الصعب ان يشفى من تصيبه . وكنا احيانا نلتقي وجيراننا في الملجأ ، في كرمنا . وفي احدى المرات كان القصف شديدا ، والطائرات العشرون تلف وتدور وتقصف وتقصف ، فاذا ابنة جيراننا تغطيني بطرف فستانها الصغير ـ يا للسذاجة ! يا للطفولة البريئة ! هكذا اعتقدت ان رداءها يحميني . ولعله فعل !.. فانا حتى الان ما زلت اذكر تلك الحركة العفوية ، ذات الاثر العميق في نفسي .

وكنا احيانا نفاجأ بوصول الطائرات ، فلا نجد متسعا من الوقت للذهاب الى الكرم فنلجأ الى الاسطبل

وفي احدى المرات ، حدث هذا ، فصعد والدي الى السطح وصعدت معه . وكانت سطوح القرية غاصة بالمقاتلين وحين انتهاء الغارة رأينا ، والدي وانا ، ان خرافا وجداء صغارا لنا قد جفلت ونزلت الى كرم مجاور لبيتنا ، يخص اناسا من آل الدبيسي . وكانت قد لجأت الى جوار جدار احد البيوت الملاصقة للكرم . فنزلت وراءها لاعيدها الى البيت ووالدي ما يزال على السطح يرقبني ، وبندقيته بيده .

وفيما انا اقف جانب الجدار اجمعها لاسوقها ، اذا شيء ينفجر في الحجر الذي فوق راسي تماما فيحطمه وينتشر حطامه في شعري ، وتعتريني هزة شاملة . لقد كانت رصاصة . واذا والدي الذي كان يرقبما حدث يصيح بي « هل انت سليم » . فأمر بيدي على راسي وانفض شظايا الحجر من شعري واجيبه : « نعم سليم » وعدت الى البيت مشدوها ، ووالدي يذرع السطح جيئة وذهابا ويقول : « لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » لقد كانت رصاصة مقصودة اطلقها احد اولئك الرجال المجتمعين فوق سطح المنطار ، وهو اعلى سطح في مجمع القرية مجاور لبيوت آل الدبيسي . وفهمت من والدي انه يريد اطلاق النار عليهم . ثم ، لما رآني سالما عدل . ولكن المسألة لم تنته عند هذا الحد . فقد كان على المذنبين ان يأخذوا علما بان والدي لا يسكت على هذا العمل العدواني . وقد اخذوا علما بالفعل ، وجاء رجال العائلة جميعا لزيارة والدي والاعتذار منه . مبررين عمل احدهم، بعذر اقبح من ذنب ، وهو اعتقادهم انني كنت شخصا اخر ، ولم يعرفوني . رحم الله ذلك الشاب الذي اوشك ان يقتلني ، فلقد قتل في احدى المعارك ، لقد مات ميتة الابطال ..

وفي احدى الغارات الجوية كانت دارنا هدفا مباشرا للقنابل : فقد انفجرت قنبلتان قرب الجدار الغربي للاسطبل فطارتا شجرات التين من كرم الجيران، وسقطت قنبلة في كرمنا الواقع امام الدار فغارت في ترابه العميق ولم تنفجر ، وظلت هذه الحفرة اكثر من سنة قبل ان يهال التراب فوقها وتردم بفعل الفلاحة . وكنا نحاول ان نسبر غورها بعصا طويلة او حبل ولكن بلا جدوى . وسقطت قنابل اخرى في كرمنا الشمالي (الفضيلي) ، وسقطت قنبلة في مدخل القرية الغربي ، فأحدثت حفرة كبيرة ، ظلت القرية سنين طويلة ترمي فيها بالقمامة حتى ردمتها. وكانت قد طارت من قلب هذه الحفرة صخرة كبيرة سقطت على بعد امتار منها ، وهذه الصخرة كانت شبه كروية لا يقل قطرها عن مترين بجميع الاتجاهات . وكان ولد مشرد من بقايا اللاجئين ايام الحرب العالمية الاولى ، اسمه صابر نصر ـ على ما اذكر ـ قد جلس وتمدد فوق الطريق المجاورة ، حينما سقطت هذه القنبلة ، فغمره التراب والحجارة غمرا كاملا وانتشل حيا بعد انتهاء الغارة .

وفي فترة من فترات اشتداد الغارات الجرية المتلاحقة على عرمان ، اخذت العائلات تهجر القرية وتلجأ الى القرى المجاورة لبعض الوقت ، فحين تشترك عشرون طائرة دفعة واحدة على قرية صغيرة كقريتنا ، وحين تقذف هذه الطائرات قنابل ضخمة كالتي تحدثت عنها ، ويكون أثرها كالذي وصفت ، وحين تبدو امام الاهلين بعض القنابل التي لم تنفجر بحجم البرميل الكبير ، فيفكونها ويعبئون من عبوتها ثلاث تنكات من البارود يصبح

البقاء في القرية امرا عسيرا ، بالنسبة للنساء والاولاد على الاقل . وكان لوالدي ولاخوالي ، اصدقاء اقرب من الاقارب في قرية « تل اللوز » الواقعة الى الشمال الشرقي من قريتنا . وهي مبنية فوق تل كبير ، وبجوارها الكثير من الكهوف والمخابىء ، ولم تكن مستهدفة بالضرب ، حتى ذلك الحين . فصعدنا الى تلك القرية ونزلنا ضيوفا على اصدقاء والدي واخوالي : صعد النساء والاولاد من دارنا ودار جدي لامي ، وظل الرجال في القرية للدفاع عنها وللاشتراك في اية معركة محتملة . واعجبتني القرية التي لجأنا اليها ، اعجبتني كرومها ذات الارض الرملية والعنب الممتاز ، والتين واللوز ، بقدر ما اعجبني لطف اترابي من ابنائها وبناتها . فكنا نصعد معا نحو الشمال على ظهور الدواب لجلب الماء من عيون « الغجغجيات » الواقعة في جبل عرمان ، ونمرح ونضحك كثيرا ، كأننا في نزهة في صميم السلم والطمأنينة ـ وكنت انزل الى عرمان لابقى بضعة ايام الى جانب والدي ، فلم اشأ ان احسب على الصغار اللاجئين بصورة نهائية ، ووالدي كان يرحب بي ، الا انه كان يرتبك لوجودي خلال الغارات التي لم تنقطع . فيطلب الي ان اختبىء ، بينما هو يصعد الى السطح ليقاوم الغارة مثل غيره من رجال القرية . ولكني كنت ارفض واقول له : « لن اتركك وحدك ، فما يصيبك يصيبني » .

على ان فترة اللجوء لم تطل كثيرا : ذلك انا كنا قد تجاوزنا معركة المزرعة بأكثر من شهر وصارت الاحاديث عنها مشهورة ووقائعها معروفة ، وقصة ابادة الالاف من الجيش الفرنسي اصبحت واقعة تحدث العالم كله عنها . وانتشر الشعر الشعبي يروي ويصف ويمجد البطولات الفردية والجماعية . وغارات الطائرات المزعجة التي كان يتخللها اسقاط طائرة هنا وطائرة هناك اصبحت امرا عاديا .

وذات يوم .. كنا قبيل الغروب في البيت حينما دخل علينا فجاة يوسف المتني ، ابن عم والدتي دخل وبندقيته معلقة بكتفه اليمنى واحزمة الفشك تغطي وسطه وتتصالب على صدره وظهره مثل اكثر المحاربين ، وتتدلى من محزمه ايضا بضع رمانات (قنابل يدوية) . وبعدما سلم وجلس ، اخبرنا بانه وصل لتوه من السويداء وانه عائد اليها فورا ، فقد جاء ليأخذ مقص الشريط الشائك الذي كان لديه لانه سيحتاج الى استعماله في معركة وشيكة الوقوع . كنا نحب يوسف ، كأنه واحد من بيتنا ، لما كان يتصف به من شهامة ، وشجاعة ، وصدق ، واستقامة .

لقد كان مثالا للفتى العربي ، ايام كانت الفتوة والفروسية تعنيان عالما من الفضائل يضيق عنه عالمنا الحاضر .. جاء وجلس معنا فترة قصيرة وودعنا وانصرف عائدا الى السويداء ، سيرا على الاقدام ـ كما جاء منها ـ ولم نكن ندري اننا كنا نراه لآخر مرة . قطع سبعين كيلومترا جيئة وايابا ، ثم سار من السويداء الى المسيفرة ، مع المهاجمين فمن اجل معركة المسيفرة التي كان قد تقرر مباشرتها ، جاء ليأخذ المقص فعلى المهاجمين ان يفتحوا لهم طريقا عبر الاسلاك الشائكة الى خنادق العدو (استحكاماته حسب التسمية الشائعة عندنا) .

وظهر اليوم التالي بدات الاخبار تصل عن معركة كبرى يحتد ماوارها في المسيفرة . لقد هاجم الثائرون الجيش الذي كان يتجمع لغزو الجبل في القرية الحورانية السهلية ـ المسيفرة ـ هاجموه فرسانا ومشاة قبيل الفجر ، لا تحميهم صخور ولا شجر . وانطلق عيار ناري ايقظ الجيش ، فاطلق في الجو اضواء كاشفة وراح يحصد الثوار برشاشاته ومدافعه ودباباته وسائر اسلحته . فمن الثوار من نكص على اعقابه ، ليحمل موجة الاخبار الاولى ، والاكثرية الساحقة رات ان الهجوم اسلم وانبل فتابعت هجومها ، على الرغم من الخسائر الكبيرة التي مزقت الصفوف . ودارت معركة شرسة طوال ذلك اليوم ، من الفجر حتى الليل ، برز فيها من ضروب البطولة ما لا مثيل له الا في الملاحم والاساطير : داخل الخنادق دار القتال ، على جدران الخنادق قتل المهاجمون ، واحتل عدد كبير منهم سطوح القرية ، ومن على السطوح بداوا يقتنصون الجنود في اعماق خنادقهم ـ وحينما جن الليل خرجوا من القرية تفاديا للتطويق من قبل قوات جديدة لنجدة العدو . خرجوا حاملين معهم الكثير من اسلحة الجيش ، وعتاده ، وخيوله ، وبغاله . ولكن الخسائر بالارواح كانت كبيرة جدا ، كبيرة وغير معقولة بالنسبة الى ثورة شعب صغير على دولة كبيرة . كان يجب عليه ان يقتصد بالرجال ما امكن له الاقتصاد . ولكن البطولة ـ كما كانوا يفهمونها آنذاك ـ لها قوانينها التي لا تنطبق على قوانين الثورات المنظمة التي جرت ابان الحرب العالمية الثانية وما بعدها .

لا اريد ان انتقل من الرواية الى الفلسفة : ففي ضحى اليوم الثالث ، كنا حوالي الطبق نتناول الطعام ، حين دخل علينا حسن صيموعة ، زوج احدى خالاتي ، ويده مضمدة ، لانه اصيب فيها برصاصة ، وبندقيته بيده ـ وراح يروي لنا ما جرى في معركة المسيفرة : « يوسف اعطاكم عمره » ـ ووقعت اللقمة من يد كل منا وكففنا عن متابعة الاكل ، واخذت الدموع الصامتة الصابرة تسيل ـ « والشيخ ابو محمد سعيد الحجلة ـ وفارس ابو خير ـ وداود الصغير ـ وفندي جابر ـ وسلامه صيموعة حامل البيرق ـ وتناوب على حمل البيرق ثلاثة من آل صيموعة قتل منهم اثنان وجرح الثالث (حسن) ـ وجبر الجرمقاني .. وعشرات غيرهم ـ استشهدوا جميعا بين اكثر من ثلاثمائة قتيل من مختلف انحاء الجبل » ـ كل بيوت القرية كانت مصابة ـ من اذكر ومن لا اذكر ؟ كان لا بد لي من تذكر الاقارب ـ وهذا طبيعي ـ ولكني ذكرت المرحوم الشيخ ابو محمد سعيد الحجلة لقد كان شيخا

مناهل النور

خلقت للشعر ، لا للمال والنشب ... فدولة الشعر لا تبنى على الذهب
عودت عيني ان ترتد عن طمع ... فصار قلبي مشدودا الى هدبي
تطير بي في سماء الوحي قافية ... والف قافية جذلى تحلق بي
اسقي الفؤاد ندى الانسام صافية ... واستقي ذوبها من منهل عذب
ما حاجتي لثراء ليس ينفعني ... ان الثراء .. ثراء العلم والادب
التبر عندي اخلاق معطرة ... والف اهلا بعيش الجوع والسغب
ضعني على ضفة خضراء وارفة ... واخلع علي رداء الزهر والعشب
وابعد الهي رنين الفلس عن اذني ... اني الفت انين الناي والقصب
ماذا تفيد كنوز الارض نملكها ... والقلب يغفو على الاهات والكرب
لم يعم باصرتي تبر ولا ذهب ... ولم يكن مذ رايت النور من اربي
المال كالشوك يدمي كف حاصده ... ويستبيه بلا داع ولا سبب
بئس الدنانير كم راجت تجارتها ... وكم اضاع هواها كل ذي حسب
درب الحياة قصير دون مطلبنا ... انا لنطلبه ، والعمر في الطلب
الام نركض خلف المال نجمعه ... والعيش بالمال لم ينعم ولم يطب
اروي بحرف مصفى ناغم ظمأى ... وهم يروونه بالدر والنشب
غسلت نفسي من داء ومن دنس ... ورحت اسمو بذاتي غير محتسب
لم يثنني المال والالقاب عن ادبي ... فعزة النفس فوق المال واللقب
التبر يسلب وحي الشعر من قلمي ... ويسرق العزم من صبري ومن دابي
نفسي الابية لم تفقد تواضعها ... ولا توانت ، ولا مالت الى التعب
نقاؤها الصرف لم يعبث به طمع ... وعزها السمح لم يضعف ولم يشب
يا عابد المال ، ليس الله من ذهب ... فكيف تعبد ربا ليس من ذهب
مهر الطموح الى مال ، متاعبه ... اغلى من المال عندي صحبة الكتب

فنزويلا ... جورج يوسف شدياق

مهيبا وقورا تقيا ، عمري ما نسيت وجهه الواسع الابيض المستبشر ، وعينيه الواسعتين المملوءتين عطفا وانسانية ، والشعرات البيضاء تتخلل لحيته السوداء فتزيده جمالا وتأثيرا ـ اذكر انني حملت له شيئا ما مرة ارسله اليه والدي مغي ، فلاطفني ملاطفة لا انساها ، وملأت صورته البهية نفسي حبا واعجابا ، وقدم لي قطعة من البقلاوة احسب اني لم اذق اطيب منها في حياتي . وهو اذ يختتم حياته النقية بالاستشهاد يكبر في نظري ، ويكبر في عيون الناس ، حتى لينتصب عملاقا لا يدانيه احد . ام اذكر فارس ابو خير (ابو حمد) ، ذلك الشيخ الوقور ذا الوجه الصبيح المشع نورا ، وهو شقيق زوجة الشيخ الحجلة . ام اذكر داود الصغير (ابو سليمان) وهو بطل من الابطال استشهد وجرح ولده سليمان في ساعة واحدة ـ ام اذكر فندي الصغير الذي نقلوا عنه انه ظل يقاتل اثنتي عشرة ساعة كاملة ، افرغ خلالها صندوقين من الفشك ، من وراء مدحلة (مدحاة) فوق احد السطوح ، وحينما غابت الشمس وقف وقال باعلى صوته : « اذا كان بينكم من هو اشجع مني فليصعد الى هنا : » لقد نسي رحمه الله انه كان على مسافة امتار معدودة من خنادق العدو وان العدو لم يكن ينتظر غير هذه الاطلالة ليرميه فيصيبه في جبهته الشماء فيستشهد . ـ من اذكر ولا اذكر ؟ لم اذكر الا بعض الوجوه التي كنت اعرفها وصورتها لا تفارق مخيلتي .

السويداء ـ سوريا ... سعيد ابو الحسن



عبد الرزاق الهلالي

رسائل صيدح المطوية أيضاً

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *

قرات في عدد سابق من (الاديب) الاغر ، كلمة للاستاذ الفاضل عيسى فتوح دعا فيها بعض اصدقاء المغفور له ، الشاعر المهجري الكبير ، جورج صيدح ، لنشر ما عندهم من رسائل كانت قد تبودلت بينه وبينهم في شتى المناسبات ولكنها لا تزال مطوية ، فهو اي الاستاذ فتوح ، يرى ان في نشر هذه الرسائل ثروة ادبية لا يستغنى عنها ولا بد لقراء الجيل الجديد من الاطلاع عليها .

وقد استجاب لدعوة الاستاذ هذه ثلاثة من الاساتذة حتى الان ، هم الدكتور عبد السلام العجيلي والاستاذ وحيد الدين بهاء الدين والدكتور فوزي عطوي ، فكان ما نشروه منها ذا اهمية حقا في دنيا النقد والفكر والادب ، لان هذه الرسائل وان كانت في طبيعتها اخوانية ، الا انها قطع ادبية ممتازة ، فكرة ومعنى ، وهي بمجموعها ذخيرة جيدة لا بد من اذاعتها ونشرها ليفيد منها الجميع ، لا سيما بعد ان اصبح كاتبها في ذمة التاريخ .

واليوم وبعد ان قرات ما قرات منها ، ارى لزاما علي (وان لم اكن واحدا ممن دعاهم الاستاذ فتوح) ان ادلي بدلوي في هذا المجال ، وابعث ثلاث رسائل كان قد بعث بها الي هذا الشاعر الكبير منذ ان تعارفنا على البعد ويعود الفضل في ذلك التعارف الى الكاتب الكبير الاستاذ وديع فلسطين ، فقد اقترح علي هذا الصديق الوفي الوديع ان اتصل بالاستاذ صيدح المقيم في باريس لانه كثيرا ما يسأله عني ويرغب في التعرف بي .

فاستجابة لهذه الرغبة الكريمة وبمناسبة صدور كتابي الموسوم بـ (الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي) بعثت له بنسخة منه مصحوبة برسالة ، فما هي الا ايام حتى جاءتني الرسالة الاتي نصها :

باريس ٨-١٢-١٩٦٥

سيدي العزيز الاستاذ عبد الرزاق الهلالي ـ بغداد

يطيب لي ان احييك بعد ان فرغت من مطالعة مؤلفك النفيس عن الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي ، فأصبحت ممتلىء الذهن بما علمت من سيرته المثالية الرائعة ، وممتلىء النفس بما قراته من الشعر الرائق الصادق ، وصار علي ان اكرر لك الشكر مرارا على عدد الاسباب الداعية اليه .

علمني كتابك ، كيف يكون التحقيق في السير ، واستخلاص العبر ، وتجويد البيان ، حتى يحصل القارىء على المنفعة من طريق المتعة .

وعلمني الشاعر المدروس ، كيف يكون الثبات على العقيدة من مطلع العمر الى ختامه . وكيف يكون بلاغ الرسالة الوطنية الى قلوب الشعب ، نغما ساحرا وحوارا آسرا .

ولا اكتم عليك اني كنت اعرف الشاعر ، اسما وشهرة ، واجهل كل شيء عن سيرته واثاره ، حتى جاءت دراستك عنه ، غنى لمعارفي ، وهوى في نفسي ، فيها وقعت على نوع الشعر الذي احب وعلى خلق الشاعر الذي اجل ، في عصر قلت فيه جزالة القول ومتانة الاخلاق .

يعز علي ان يكون محصول الشاعر الكبير هذا المقدار الصغير المنشور في الكتاب وان يكون معظم المنشور من الشعر السياسي ، كأن قيثارة الشاعر قليلة الاوتار رتيبة الاصوات .

ان من يقرا قصيدته الرائعة عن (ملاك المسرح) (١) صفحة ١٥١ ـ ١٥٢ يوقن ان الوتر الفني ، لا السياسي هو اقوى الاوتار في شاعريته . ولا بد من وجود قصائد من هذا الطراز العالي لم يحصل عليها الدارسون بعد ، وهي في شرعي من اغلى اللآلىء جوهرا ومظهرا ، ويليها في الاهمية شعر الفكاهات ، فهو دليل على رهافة الذوق ،

وحدة الذكاء وقوة البديهة ، وهو ابلغ اثرا في النفوس، من كل شعر ، بمثله تخلد شعر ابن الرومي ، وابي نواس قديما وشعر حافظ ابراهيم والياس فرحات حديثا . فدارت دعاباتهم الشعرية على السنة الزمن كما تدور الان قصيدة الشبيبي في أم كلثوم (٢) (فاني في الهوى وفدي) وقصيدة المستشار (٣) والوزير الذي يعربد كلما شرب المستشار الطلا .

عفوك يا سيدي عن ثرثرتي ، عفوا ، استجديه بشفاعة مودتي .

جورج صيدح

وحين اصدرت كتابي الموسوم بـ (دراسات وتراجم عراقية) سنة ١٩٧٢ نشرت فيما نشرت فيه عددا اخر من قصائد الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي كما نشرت هذه الرسالة المطوية في ذلك الكتاب ، ولما بعثت له بنسخة منه ، جاءتني بعد اشهر الرسالة الاتي نصها :

باريس ٢-٨-١٩٧٢

سيدي الغالي ، عبد الرزاق الهلالي

حالت الوعكات الصحية التي منيت بها، دون الاطلاع على كتابك القيم (دراسات وتراجم عراقية) وهو في حقيبتي منذ شهرين يطوف معي مرابع الاستجمام والاستشفاء ولا يظفر بساعة انشراح ولقاء ، حتى هونها الله وعدت الى قواعدي ، عودة الابن الشاطر ، مجبور الخاطر . فجعلت هذا الكتاب ، سميرا ونجيا لي في ليلتي البارحة ، واصبحت اليوم مدينا له بمتعة روحية وبذخيرة ادبية ، افيد منها في دراساتي وتأملاتي ، كما اني مدين لك بهذا الالتفات الكريم نحوي ، للمرة الثانية ، لا بالاهداء فحسب ، بل بالاهتمام بكلمتي عن هديتك الاولى (٤) وبتعليقك عليه في هديتك الثانية . لقد تكرمت باثبات تلك الكلمة في كتابك فأوليتني شرف الذكر في هذا السفر ، وتكرمت بالاستجابة الى رغبتي في جمع اكثر ما يستطاع جمعه من روائع هذا الشاعر ، كما اشرت الى ذلك في صفحة ٨١ ، فاضفت ما فاتك منها واكملت ما كان منقوصا في الكتاب الاول .

وما اسعدني الان ثلاث خرائد ترفل في مطارفها الكاملة ، كما كنت اشتهي ان اقراها وهي (الدالية) (٥) الموجهة الى مستر كراين و (اللامية) الموجهة الى همفريز (٦) و (الرائية) (٧) اليتيمة التي اعتبر كل بيت منها حسنة من حسنات الشاعر حرام ان يحرم منه قارىء معاصر .

انني اكبر همتك في التأليف والنشر ، بعد الجهد الجهيد في التحقيق والجمع ، حريصا على اداء الرسالة الادبية بامانة وشمول واريحية .

اهنئك على نجاح مساعيك بالوصول الى مراميك في كتابك الجديد ، كما اهنىء نفسي بالحظوة التي نلتها من قلمك ومن مودتك ومن اهتمامك بما اكتبه اليك ، فصرت اشعر بتعاطف وتجاوب معك كأن تعارفنا يرجع الى عهد قديم او الى تعامل مستديم .. هكذا تتآلف الارواح الخيرة وتتفاهم الضمائر النقية دون اعلان ولا ترجمان .

لا اتصدى للحكم على الابحاث الاخرى في كتابك ، لان معارفي لا تؤهلني لتقييم ادب الاعلام في العراق او لمناقشة من ينتقدهم ، كل ما استطيعه هو الافصاح عن اثر الكتاب في نفسي فأقول ، انه من الاعمال الادبية النافعة المثمرة ، وان شعر محمد باقر الشبيبي هو احسن الشعر المنشور فيه ، وان المجال لم يزل مفتوحا للبحث عن قصائد (فكاهية) لم تنشر بعد ، وهي في شرعي تمثل جانبا مهما من جوانب عبقريته ، فلا يجوز اهمالها .

وتجد الملحات في كتابك مثل التعليق على زواجه :

ان شئت ان ترد المنون فعرج   ودع العزوبة جانبا وتزوج

هكذا يريد ذوقي الخاص ، وهو الذي يتحكم بي وانا لا افرضه على غيري ، ولكني اجاهر به ورزقي على الله .

جورج صيدح

هامشية :

من عادتي عند الانتهاء من مطالعة كتاب ان اكتب على غلافه الداخلي ، الحسنات والنكات التي استوقفتني فيه ، حتى اعود اليها ، واستشهد بها متى عرضت المناسبة دون عناء في البحث عنها ، لذلك سجلت على غلاف كتابك هذه الابيات :

ان شئت ان ترد المنون فعرج   ودع العزوبة جانبا وتزوج

وهو من شعر الشيخ محمد باقر الشبيبي .

الى ان يعود الماء في النهر جاريا   ويخضر جنباه تموت ضفادعه

وهو من شعر السيد محمد القزويني .

رام يدنو عرسه فراته   ليس يستطيع فالتقى ساكنان

وهو من شعر السيد محمد القزويني .

فالقلب من دين ابن مريم وحيه   والفكر من لغة النبي محمد

وهي من شعر الشيخ مهدي مقلد ، من قصيدة يرثي بها الاب انستاس ماري الكرملي .

وهذا البيت الاخير هو لسان حال الالوف من المهاجرين المسيحيين النازلين في اقطار اميركا وافريقيا . ونزلت لغة القرآن في نفوسهم منزلة الدين فوقتهم شر التأمرك والاستعجام . وتجدني واحداً منهم ، اقول لكل من يلومني على هذا الايمان « بأي آلاء ربكما تكذبان؟ »

جورج صيدح

وهكذا كانت كتبي او ما انشره من قصائد في بعض المجلات من حين لاخر ، دافعا لحمل هذا الشاعر الكبير ، على الكتابة الي ، وكانت اخر رسالة تلك التي كنت قد تسلمتها بعد ان وقف على قصيدتي الخاصة بـ (اشبيلية) المنشورة على صفحات مجلة (البلاغ) التي يشرف على تحريرها الاستاذ البحاثة الشيخ محمد حسن آل ياسين .

فكتب الي بعد قراءتها الرسالة الاتي نصها :

اكس ليبيان ٧-٢-١٩٧٦

الى سيدي الاخ المفضال شاعر الاقوال والافعال

الاستاذ عبدالرزاق - بغداد

سيدي :

ابتهجت برسالتك الكريمة ، بعد ان شغلتني على مقاطعتك الصامتة ، على غير ما عودتني وما اشتهر عنك من كرم التلبية والتزام الوفاء ، الى ان تنسمت اخبارك من الاخ وديع فلسطين في القاهرة ومن مراسلي في بغداد اما من جهتي فقد حملتني امراض الشيخوخة القاسية الى الاستجمام والاستشفاء خارج باريس كما ترى ، ولن اعود الى مقري الا بأمر الطبيب وقد يصدر عن قريب .

سياحتك الامبراطورية الاندلسية (٨) ، جمة المنافع والروائع ، سرني ان تكون تمليت عنها ، واطلت الوقوف على اطلالها ، كما فعل قبلك شعراء العربية الاعلام والفلاسفة العظام . انا زرتها لماما، عام ١٩٥٢ في سياحة جماعية لم تشف غليلي فأعدت الكرة بمفردي في سيارتي عام ١٩٥٧ ، وشاء القدر ان يوقفني قبل وصولي (سانتاندير) على اثر حادث سيارة في مدخل المدينة ، فلم اكمل السياحة ، ولا عندي في ديواني شعر يسجل انطباعاتي سوى مقطعة واحدة منظومة على قمة جبل غرناطة :

غرناطة تحتي وما عيدت ... للفاتح القادم من جلق
ترتد عن (حمرائها) مقلتي ... حمراء من دمع بها مهرق
والثلج من حولي بشاشاته ... تفتر عن تاريخنا المشرق
اسكته ، اهمس في اذنه ... اوذيك او ترحل عن مفرقي

افأنت حفظك الله ، بوقوفك على المرقص العالمي الشهير ، متانيا متوجعا ، كما فعل جميع شعراء الاحساس المرهف والوطنية الصادقة .

اسكرني هذا التعبير الملهم في البيت القائل :

وان رطنوا وغم عليك امر ... ففي سيماهم ابدا كلوم (٩)

صورة لم يسبق اليها ، وكلنا شاهدناها في ملاح الاسبان في اشبيلية .

عندي الان مشكلة شعرية تزعجني ، خلتها الاخ الدكتور صفاء خلوصي في قصيدة بايعني فيها ب (امارة الشعر) في هذا العصر ؟؟ فاستهجنت هذه المبالغة التي تخفض من عزتي وتنال من كرامتي ، كأنها تسخر من شاعريتي ، فكان ردي هادئا وتنصلي عارما مع المبالغة في التواضع كيلا تظن بعقيدتي الظنون . وما ان فرغت من هذه المهمة حتى فاجأني اديب فاضل من بغداد هو الاستاذ عبد المجيد لطفي الذي لا اعرفه شخصيا ولا سماعا ، بقصيدة مبايعة بامارة الشعر ، كأنها تكملة لقصيدة الدكتور خلوصي ، فثارت نفسي من جديد وعدت اتوسل الى مادحي ان يرفق بي ولا يكون جارحي .

اني ابعد الناس عن الغرور وحب الظهور على حقيقتي فكيف ارضى ان يصورني شاعر صورة زائفة غريبة عني ؟ ولا اعرف مجلة يتسع صدرها لمثل هذه المساجلة بين شعراء ثلاثة قد يكونون من اصحابك ولا يرتاحون للنشر في بغداد .

اهتمامي بهذا الموضوع راجع الى احداث هجرتي في الارجنتين ، حيث ألفت « الرابطة الادبية » التي جمعت شمل الادباء والشعراء في منزلي ، وكنا نتندر بغباوة ، (دعي شبه امي) حشر نفسه بيننا وراح يخطب في كل مقام فأصبح مضحكتنا ومحور نكاتنا .

وبعد ان خطب في احدى الحفلات الكبرى ، وقف الياس قنصل يطلب من الحضور جميعا مبايعة الرجل بامارة الشعر فأجابوه بتصفيق الاستحسان وكتبوا له (فرمانا) وقعه اربعون اديبا يصبح بموجبه امير الشعراء السابقين واللاحقين ، والى الان لم يزل (المعتوه) يفاخر في اللقب انى ذهب . وهو الان في دمشق يطالب الحكومة باستضافته وطبع شعره على حسابها احتراما لمنزلته العليا في المهاجر ، لذلك اخشى الوقوع في الفخ مثله لا سمح الله.

اسم هذا الرجل (...) ربما تعرفه وتقرفه واليك ازكى سلامي واصدق احترامي .

جورج صيدح

هامشية :

علمت من اصدقاء دمشق ان الرجل حل ضيفا ثقيلا وطبع ديوانا جديدا ، يوزعه على كل عابر سبيل ويهديه الى كل عنوان يقع في يده والى اليوم لم نعرف قارئا واحدا فتح ديوانا له وقرأه . بل كتب الى صديق (عيسى فتوح) انه يوزع مع الديوان اقلام حبر ، هدية لكل قارىء ويسب صيدح في كل مجلس لانه اهمله ولم يذكره في كتابه المهجري بين شعراء المهجر .

جورج صيدح

كانت هذه اخر رسالة تسلمتها من هذا الصديق الوفي ، وحال دون التواصل والتراسل بيننا مرضي واصابتي بعجز كلي عن العمل ، ومرضه الاخير الذي انهى حياته الغالية .

وبعد ، فأرجو ان اكون قد ارضيت الاستاذ فتوح بنشر هذه الرسائل المطوية ، كما ارجو ان اكون قد اسهمت في خدمة الفكر والادب ومن الله التوفيق .

الهوامش :

١ - (ملاك المسرح) - هي الفنانة الين رزق ، التي قال فيها الشبيبي قصيدته عندما زارت بغداد مع فرقة يوسف وهبي والتي مطلعها :

عبقي المسرح ريا ... واعيدي الفن حيا

٢ - ابو كلثوم الوفدي : هو الشاعر الشيخ محمد باقر الشبيبي جاء ذلك في قوله بقصيدته التي القاها في نادي القلم العراقي سنة

لها تشتري الرجال

روع النجم وادلهم الفضاء — وتداعت اطوادها الغبراء
واستجارت بربها امم الارض — ونادت معبودها الضعفاء
دول لا تروم الا احتكارا — اينما تعتدي يسود البلاء
كم لها تشتري الرجال عبيدا — كي توالي استعمارها العملاء
والوف الاطفال في قبضة الموت — تفشى فيها الطوى والداء
تملأ الافق والصحارى نداء — هل اغاثت نداءها الصحراء
فاستجارت بالشمس من حلك — الالام حتى عم الفضاء النداء
علها تحجب الشعاع عن الدنيا — فتجتاح ارضها الظلماء
كي يسود السلام في كل ارض — او يسود الردى بها والفناء
لهف قلبي على العروبة تستجدي — حقوقا خانت بها الاقرباء
كل عقل من حكمة الله ظل — يتهادى فيه السنى والسناء
ونشاط العقول علم ومال — وقياد الورى هم الاقوياء
ليت من ركب الهيولى عقولا — كان من طبعها الصفا والوفاء
انما العيش في الانام صراع — يتبارى فيه الشقا والرخاء
وقوي السلاح يزداد نصرا — وسلاح المستسلمين الدعاء
ليس الا العلوم تبني رجالا — حطها الجهل والخنا والعياء
مزقتها الاهواء في طلب الشهوات — حتى اودت بها الاهواء
فغدت تقتل الرجال .. المناكيد — وتلهي الانذال منها النساء
خذ دليلا هذي المعارك في ((لبنان)) — حاكت فصولها البغضاء
كم تمادى الفجور والحقد فيها — واستبدت جرائم حمقاء
لا تبالي الجهال ان احرز الاخوان — نصرا ... ام احرز الغرباء
هو حكم المستعمرين قرونا — هدمت خلقنا بها الشحناء

سان باولو ــ البرازيل — فارس بطرس

١٩٣٨ والتي مطلعها :

وفاء بعهدي او نزولا على وعدي — وقفت احيي معشري وبني ودي

٣ ــ اشارة الى البيت الذي جاء في قصيدته التي حيا بها المستر كراين والتي مطلعها :

حقا تقوم لك البلاد وتقعد — وتشيعد باسمك يا وفي وتنشد

وقال فيها مشيرا الى وزراء ذلك العهد :

المستشار هو الذي شرب الطلا — فعلام يا هذا الوزير تعربد

٤ ــ اشارة الى كتاب (الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي) المشار اليه آنفا .

٥ ــ هي القصيدة التي قالها بالترحيب بالمستر كراين كما ذكرنا آنفا .

٦ ــ هي القصيدة الموجهة الى المندوب السامي البريطاني المستر همفريز الذي عاد الى بغداد من لندن انذاك ومطلعها :

هل في حقيبته شيء من الامل — ام المزيجان من سم ومن عسل

٧ ــ هي القصيدة التي رثى بها اباه المرحوم الشيخ محمد جواد الشبيبي والتي مطلعها :

اذكرك ام هذي القيامة والحشر — فديناك هل انت الفقيد ام الذكر

٨ ــ اشارة الى سفرتي الى الاندلس التي كنت زرتها في سنة ٧٥.

٩ ــ اشارة الى قصيدتي في اشبيلية التي نشرتها المجلة وقلت فيها مذكرا بان الاسبان هم عرب قائلا :

فهم اخواننا حسبا ودينا — وان فتكت بهم محن جسام
وان هم غيروا اسما ودينا — فهم عرب بيوتهم الخيام
وان رطنوا وغم عليك امر — ففي سيماهم ابدا كلام

١٠ ــ لقد ذكر اسم هذا الرجل الا اني حذفته .

بغداد — عبد الرزاق الهلالي

محمد الخضر حسين في عالم الشعر

بقلم الدكتور محمود محمد لبة

مدرس الادب والنقد في كلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

خواطر الحياة عنوان الديوان الذي جمع بين دفتيه خلاصة ذوق هذا الشيخ الجليل ، والفقيه الكبير والقول الفصل في هذا الديوان لا يتم تمامه الا اذا رجع به الباحث الى منابعه الاولى ، ليعرف مبلغ انبعاثه ، وقوة جريته ، والى الروافد التي غذته ، وجعلته تام التركيب ، من حيث معرضه ، وجمال صورته ، ودقة لمحاته ، ليتبين اخلاق منشئه ، وشمائله وآرائه ، وفلسفته في الحياة والاحياء .

والمعروف عن الشيخ ـ رحمه الله ـ انه رجل شريعة اقترن اسمه بها ، فهو يجيد الحديث فيما يتعلق بالكتاب والسنة ، فقها وتفسيرا وتأويلا ، وكانت مجلة « الهداية الاسلامية » التي يراسها ، ويشرف عليها ، هي المجال الخصب لآرائه ، والمتنفس الرحب لمقالاته ومقالات الائمة البارعين ، كالشيخ محمد ابي العيون وغيره .

وقد قلده هذه الصفة منصبه الرسمي ، فقد كان شيخا للجامع الازهر ، وعلما من اعلام الاسلام الذين يشار اليهم بالبنان .

ولكنه جمع الى صفته الدينية ملكة ادبية ، جعلته يضرب بقلمه في اودية الفكر المختلفة ويحلق بفنه في سماء الخيال الخصيب ، يقول عنه الاديب الناقد الدكتور محمد رجب البيومي (1) (وقد راينا الان في هذا العصر من تضلع في العلوم اللسانية تضلعه في العلوم الشرعية ، حتى لتحار اين تذهب به مرجحا كفة على كفة ، ومن هؤلاء استاذنا الاكبر محمد الخضر حسين رضي الله عنه ، اذ كان يناقش معضلات اللغة والنحو والادب ، كما يناقش معضلات الفقه والاصول والتوحيد بشموخ يرتفع عاليا في الميدانين ، دون ان تقصر مئذنة عن مئذنة في سموقها الناهض ، وارتفاعها البعيد) .

وكتاباته المتنوعة ، وبحوثه العلمية والادبية اعظم متحدث عنه ، واقوى شاهد له فهي تدلنا على انه متعدد المواهب ، جيد التحصيل ، حاضر العقل والقلب ، وانه ما وجه همته الى شيء ، ولا صرف نظره الى موضوع الا اسعفته عقليته بكل ما اراد ، وامدته قريحته بصنوف الزاد .

وقد كان الشيخ ـ رحمه الله ـ غيورا على لغة القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، فحينما كتب الدكتور طه حسين « في الشعر الجاهلي » بعد ان القاه محاضرات على طلبته في كلية الاداب سنة ١٩٢٦ ، كان الشيخ محمد الخضر حسين من بين العمالقة الذين تصدوا له ، ووضعوا الحق في نصابه الصحيح ، مما يدلنا على ان مؤشره الاسلامي كان يتحرك لادنى الملابسات التي تمس الدين والعقيدة ، وان لسانه كان الاداة التي تدفع الامة الى المعالي وتردها عن سفاسف الحياة وتوجهها بدقة الابرة المغناطيسية الى الافاق الرحبة الكريمة .

والمتصفح لديوان « خواطر الحياة » يرى بوضوح انه على درجات متفاوتة ، وضروب متنوعة من حيث التفكير ، والتصور ، والتعبير ، وهذا شيء طبيعي لان الشعر زفرات روحه ، ورسول عقله وقلبه في اطوار حياته المختلفة ، وبه يترجم لغة ما في نفسه الى الاخرين من حوله ، ولا شك ان الملكة الفنية لا تولد كاملة ، وانما تجري عليها سنة النشوء والارتقاء حتى تستحصل وتقوى، لذلك كان من الاشياء التي افلتت من بين اصابع الشيخ ـ رحمه الله ـ ولم يفطن لها انه رتب القصائد والنتف والمقطوعات التي جمعها من مذكراته الخاصة ، ومن الصحف والمجلات التي نشرت فيها على الترتيب الابجدي، ربما لانه كان ينظر الى شعره كله ـ وهذا من باب الاعتزاز ـ على انه عنده كالحلقة المفرغة لا يدري اين طرفاها ، ولو انه عدل عن هذا الترتيب الابجدي الى الترتيب التاريخي لكان في ذلك هداية اي هداية للباحثين في آفاق فكره ، والقارئين بين سطوره آماد بصره ، ولتغير الموقف النقدي تغيرا كبيرا ، ومعظم شعره جيد ، ولكن مقياس الجودة فيه يختلف من قصيدة لاخرى ، ففي بعض قصائده او مقطوعاته نجد الشعر عنده يأخذ لونا من الوان الترف الذهني وفنا من فنون الامتياز الادبي والعقلي فهو لا يقوله صناعة ، ولا ينطق به تكلفا ، وانما تأتيه المعاني ارسالا ، وتنثال عليه الالفاظ انثيالا ، فيلتئم منها جميعا عقد نظيم ، تقل حباته وتكثر ، ولكنها مع قلتها او كثرتها تحتفظ بجمالها ، وحسنها ، ورقتها ، من هذا النوع قوله يناجي النبي صلى الله عليه وسلم :

احييك والاماق ترسل مدمعا	كأني احدو بالسلام مودعا
وما ادمع البشرى تلوح بوجنة	سوى ثغر صب بالوصال تمتعا
وقفت بمغنى كان يا اشرف الورى	لطلعتك الحسنى مصيفا ومربعا

هذا موقف لامست فيه باخمصي … اجل من الدر النضيد وارفعا
وذلك مرقى كنت تصدع فوقه … بما حاز في اقصى البلاغة موقعا
وذاك مصلى طالما قمت قانتا … به ، ويقوم الصحب خلفك خشعا
وذي حجرة كان الامين يؤمها … بوحي فكانت للشريعة منبعا

الى ان يقول :

واروع ما شق الفؤاد بحسرة … وهاج به الاشجان حتى تقطعا
تخاذل حال المسلمين وما اتى … من الخطب في ارجائهم وتجمعا
وما شاننا الا كعقد تناثرت … جواهره في سطح احدب انزعا
فهذا يحاذي في قضاياه نزعة … تخط وراء الحق للناس مرتعا
وهذا يصوغ القول في قالب يرى … بجانبه قول الشريعة اوسعا
وذاك ينادي بالضلالة ماسحا … بصبغة دين كي يغر ويخدعا

وهذه الحرارة الروحية الشديدة التي بلغت بالشاعر مقصده ، امام قبر النبي صلى الله عليه وسلم وباعدت بينه وبين الفلسفة وابهامها ، واللغة والغازها ، فجاءت واضحة في الفاظها ومعانيها ، سهلة في قوة ادائها ، رائعة في تأثيرها ، جهورية في قافيتها التي انتهت بانصع الحروف العربية واجلاها وهو حرف العين ، هذه الحرارة الروحية نجدها شديدة الفورة في قصيدته التي قالها امام قبر صلاح الدين الايوبي في دمشق سنة ١٣٦٣ هـ وفيها يقول:

لو لم تبلغك الحياة مناكا … لكفاك انك قد قهرت عداكا
لك سيرة كادت تمثل للنهى … بشرا ينافس في العلا املاكا
ومفاخر يوم استغاث الشرق من … خطر الم ولم يجره سواكا
صرخوا النفير واطمعوا احشادهم … في ثل عرشك والتهام حماكا
حملوا الصوارم والقنا بحماسة … واتوا ميادين القتال وشاكا
قلت « الجهاد » فهاج حول لوا … ئك السامي فيالق لا تهاب عراكا
ولقيتهم بعزيمة لا تنثني … والراي نبراس يوم خطاكا
واذا البطولة عززت براية … كانت لانقاذ الشعوب ملاكا
عادوا بخيبة آمل وتملات … من مجتنى النصر المبين يداكا
عادوا ولم يخلد بهم وهن الى … يأس وظلوا يفتلون شباكا
حتى اذا اخذ الكرى بجفوننا … زحفوا وما لاقوا قنا كقناكا
او ما سمعت رطانة الافرنج من … حول الضريح تخوض في ذكراكا
وكانني بك قد هممت بوثبة ال … اسد الهصور لو استطعت حراكا
جاسوا المدائن والقفار وارصدوا … في كل واد غاشما فتاكا

وفي هذه القصيدة الصادقة نجد شبها كبيرا بينها وبين القصيدة السالفة التي القاها امام المقام النبوي الشريف ، على الرغم من البون الزمني الكبير بينهما ، فقد نظم القصيدة الاولى سنة ١٣٣١ هـ ، ونظم الثانية سنة ١٣٦٣ هـ ، ولكن مادة الشعر فيهما امتزجت بروح الشاعر وقلبه فكانتا للتاريخ والسياسة مادة ، وللروح تأثيرا وبلاغة وتصويرا .

فقد بكى في الاولى حال المسلمين، وما آل اليه امرهم من الضعف والتخاذل ، بينما كانت ثقافته التاريخية تسعفه ، وتشد من آزر دعواه في قصيدته الثانية ، فهو يشير الى النصر العظيم الذي حققه صلاح الدين الايوبي في موقعة حطين الفاصلة بينه وبين الصليبيين ، ثم فتحه بيت المقدس ، وابرام الهدنة بينه وبين الفرنج ، ثم وفاته بدمشق عام ٥٨٩ هـ قبل التمكين لدولته ، ووضع النظم لها ولحكمها ، ويذكر ان الامور قد عادت سيرتها الاولى فهاهم اولاء الفرنج في دمشق يجوسون الديار ، وكأنهم يقولون : ها نحن اولاء قد عدنا يا صلاح الدين ، ثم يستحث الهمم ، ويتمنى ان يجود الزمن بصلاح الدين الجديد ، ليذود عن حمى الشرق فلول المستعمر الغاصب:

يا ليتني ادري ومثلك يقتدى … بمثاله بين الورى ويحاكى
ايتاح للشرق المعذب ذائد … يرمي ويبلغ في النضال مداكا

اما ظرفه ورقته ، ورؤيته المتجددة للفن ، وفهمه العميق للحياة ، ونظرته النافذة لحقيقة التجديد في الشكل والمحتوى ، فيبدو اكثر وضوحا في هذا الضرب الذي ما زلنا بصدده في النتف والمقطوعات التي بلغ فيها غاية الدقة في الوصف ، والذي عول فيها على احساسه اكثر من تعويله على فكره مما زاد من رونقها وبهائها ، من ذلك قوله تحت عنوان « كلانا ناظر وردا » :

انشدتنا شعر لهفان على … وصل ليلى وليالي الرقمتين
قلت : خلي ذكر من قال ولم … يبرز المعنى : رات بدرا بعيني
واذكري يوم تلاقينا على … ربوة والماء صاف كاللجين
غادة ترنو الى ورد الربا … وفتى يلحظ ورد الوجنتين

يشير بذلك الى قول القائل :

رات قمر السماء فذكرتني … ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن … رايت بعينيها ورات بعيني

ومثل هذا في ديوانه كثير فهو يعارض مجددا ، ويسابق فيسبق ، ويرى كل من سابقه غباره ، ثم يمضي متقدما ، ومعظم ديوانه من هذه النتف والمقطوعات التي تنبيء عن اصالته في فن القريض وتدل على براعته في التنويع ، فلم يكن نمطا واحدا ، وانما كان يترسل في شعره ليدخل حنايا النفوس ويمتزج بالارواح ، ولا يفتأ بين تضمين حكمة ، او تدوين خطرة ، او فلسفة نظرة ، او معارضة معنى .

كما كانت هذه النتف والمقطوعات الكثيرة امارة التشاغل بغير الشعر ، والتفرغ للغة العربية وعلومها ، والشريعة الاسلامية وفلسفتها ، فاذا قرض الشعر فانه يخرج منه مخرج الشيء الطريف ، الذي يتعجب منه في وجوده ، اكثر مما يتعجب منه لقلة وجوده .

ولو اننا اردنا استقصاء هذه المقطوعات ، والنتف الشعرية في ديوان « خواطر الحياة » لاعيانا ذلك ، وكلفنا الكثير ، وخرج بنا من حدود المقالة المركزة الى دروب البحث الموسع الشامل ، وعنوان الديوان اصدق شاهد على صدق ما قررناه ، فهي خواطر ولمحات يزجيها في قالب شعري ، ليرينا صفحته البيضاء النقية ، ويعكس لنا حسه البياني المرهف ، وذوقه الذي يتسقط الهام الغيب بالايماءة واللحظة .

وفي بعض قصائد الديوان نجد لونا اخر من الجودة يختلف تماما عن اللون الذي سلف الحديث عنه انها جودة اللغة ، وجزالة السبك ، واتقان الصنعة ، بحيث يلمس القارىء الواعي بوضوح في القصائد التي تنطبق عليها تلك الصفات انها حصاد علوم ومعارف ، وثمرة قراءات ،

وفلسفة عقل ، وان الشاعر بما اوتيه من قدرة لغوية ، وحصافة عقلية ، كان يعد الشعر احيانا ارض الواقع التطبيقي لما تعلمه من علوم ، ورزقه من صناعة ، وذلك لا يعني اننا نلغي الروح البيانية من هذا الشعر ، او انه هو كان يلغيها ، ويستبدل بها شيئا اخر يدخل في نظم العلوم ، فذلك ما لم يحدث ، وانما نعني أنه كان يترجم الخاطرة كما تصلح ان تكون فكرا وتعبيرا فهو يأخذ بأسباب القوة قبل الاخذ بأسباب الرقة ، ويعمل ليوجد حقيقته وكيانه العلمي ، قبل عمله لابداع خياله الفني ، فهو موفق – بلا شك – في التعبير عن افكاره ومعانيه اكثر من التوفيق في مشاعره وخواطره التي لا تزال تحتفظ بحرارة الحياة في جو القصيدة العام ، فدروبها متصلة ، وخيوطها غير منقطعة .

واذا كان الشيخ يشق للشعر طريقه ، ويعبد سبيله على نحو عربي خالص ، يجمع بين دقة المبنى ، ورصانة المعنى .

واذا كان ينزع في بعض معانيه وتعبيراته البيانية نحو الثقافة العربية التي اشرب حبها وروحها .

واذا كانت الروح الدينية تمتزج بشعره في كثير من القصائد والمقطوعات ، وتنفذ الى اعماق هذا الشعر متصلة بما يفضي به من اسرار ، وما يكشفه من استار .

اذا كانت كل هذه المقومات والخصائص تظهر واضحة في ديوان الشيخ الخضر ، فانها تزيده اصالة وعمقا ، وبعدا حضاريا وروحيا ، وتعكس بوضوح قدرته على اختراق حجب الماضي السحيق ، والملاءمة بينها وبين الحاضر القريب ، والمستقبل المرتقب ، والاصالة والمعاصرة من اخص خصائص الشعر الذي يريد له ناظمه الحياة في ضمير الزمن ، والبقاء عبر الاجيال والعصور ، اذ يستحيل ان تعيش امة من الامم لحظتها الحاضرة منقطعة عن جذورها التي منها تستمد وعليها تعتمد .

ولكن الذي نريد بيانه ، والتركيز عليه ان الشعر خطفة من خطفات الوجدان ، وقبسة من قبسات الرحمن وفن يأتي الالهام في مقدمته ، لانه الاداة السحرية التي تجعله مفزع القلوب ، ومهوى الافئدة ، فاذا فقد هذه النفحة الالهية ، او ظهرت فيه واختفت ، او صرحت ثم لوحت ، فانه ينزل درجة او درجات بحسب ما احتواه من مادة الالهام في نسيج اللغة ، وعالمها المتموج بألوان الشعاع والرونق والجمال .

ولنذكر من هذا اللون الثاني قصيدة « مشاهداتي في الحجاز » فهي – في تصوري – نموذج حي لما اسلفت الحديث عنه ، ومثلها في ديوانه غير كثير .

المجد لا ينال القاطنين … ودع الركب وحيا الظاعنين
شام في وجهته يمنا ولو … زجر الطير لمرت باليمين
لا تلوما في النوى من هاجه … للنوى لاعج شوق في الكنين
شاقه البيت وقبر المصطفى … وربوع الخلفاء الراشدين
سار شوطا وهو لا يدري أفي … حلم ام في زمان لا يخون
ذكر « الخضر » و «موسى» اذ أتى … مجمع البحرين مرتاد السفين
ركب « الطائف » يطوي البحر في … جدل والبحر كالشيخ الرزين
واذا هبت جنوب طردت … ما يلاقيه الندامى من شجون
هم سكارى ما احتست آذانهم … حكمة القرآن في نطق رصين
ودنوا من « رابغ » فاستبقوا … يذكرون الله جهرا محرمين
في بياض ناصع تحسبهم … بادىء الراي زهورا في الغصون

وهذه القصيدة التي ذكرت عددا من ابياتها تربو على الثمانين بيتا من الشعر ، وقد طال نفس الشيخ فيها، لانها صادفت نفسا تمر فيها صنوف المعاني والافكار فتخلقها خلقا جديدا ، وتجعل لها مع الحياة في نفسها وفي نفوس الاخرين حياة من نفس الشاعر وروحه ولان موضوع القصيدة لم يقتصر فقط على مشاهدة تاريخية ، او رؤية فنية دينية ، وانما كان تسجيلا حيا لرحلة الحج في الاراضي المقدسة من بدئها الى نهايتها ، او بتعبير ادق كان تطبيقا روحيا ، ووصفا فنيا لهذه الرحلة المباركة التي شاهدها بنفسه ، وتملأ مواقعها بعيني راسه ، فاجتمعت لها الروافد التي تغذيها ، والمنابع التي ترويها، فجاءت على سياقها من العقل ، وعلى ترتيبها في مناسك الحج ، وعلى مغزاها في سر التشريع الالهي ، وعلى طبيعتها المتدفقة بالحب الخالص ، وعلى تصويرها الذي زاحمت فيه عينا المعاني عيني البصر .

ومن هنا بدت براعة الشاعر ، وقبضته على زمام هذه الروافد الكثيرة ، والمنابع المتعددة كما بدت الوحدة الموضوعية بين ابيات القصيدة من غير كلفة او تصنع .

والشاعر على ما افرغه في هذه القصيدة من معان تنم عن علمه المستفيض ، وثقافته الدينية العميقة ، فان له الى جانب ذلك تصويراته البيانية ، وخطراته الروحية التي انفرد بها ، وتميز بابداعها ، ولنستمع اليه يقول في القصيدة نفسها :

شاهدوا الكعبة وهنا فجرت … عبرات البشر من بعض الجفون
مقلة الدنيا فان ابصرتها … في سواد فعيون الغيد جون

وذلك تصوير نقله الشاعر من باب الوصف الحسي الى باب نظر اليه بقلبه ، واستعان على تصويره تفكره ، فالكعبة مقلة الدنيا ، وانسان عينها ، لانها مهبط الرحمة ، ومنبع الحكمة ومستقر الامن والايمان ، ومتطلع الانظار في جميع الاصقاع والبقاع من مشارق الارض ومغاربها، ينضاف الى هذا المعنى الروحي الذي تمثله الكعبة في مستقرها ، ذلك المظهر الشكلي وهو كسوتها السوداء فيقول : ان ابصرتها مجللة بكساء اسود فلا تعجب ، فانها مقلة الدنيا وعينها ، وعيون الغين سود ، وذلك مما يزيدها حسنا ، ويملأها مهابة ووقارا وتشريفا وتعظيما ، وذلك تعليل غاية في الملاحة ، وآية في الطرافة ، ونهاية في الابداع فهي سوداء شكلا ، بيضاء معنى ، وخروج النور من قالب ضده من اسرار اللطيف سبحانه .

ومهما يكن من شيء ، فان هذه القصيدة ذات قيمة

نفثة

★

يمالئني بلا صدق عدوي ويخدعني بلا كذب صديقي

وقد بلغت مدى السبعين سني ولم اعرف فريقا من فريق

فلما ان عرفت لزمت داري ولم اخرج الى عرض الطريق !

مصر الجديدة عامر محمد بحيري

تاريخية ولغوية رفيعة ، فهي وثيقة جد مشيرة لاماكن ومناسك عظيمة وخطيرة ، وهي كذلك المصباح الذي انار الطريق امام اعيننا ، وجعلنا نستمتع ونحس ونميز ما امامنا من نتاج فكري وفني .

وفي ضوء هذا المصباح استطعنا ان نمسك بخيوط رفيعة ، تحول احيانا بين حقيقة البحث عن الاصول الادبية والنقدية وبين الحقية اللغوية المبنية على الاعجاب بالبرق الخلاب .

واخيرا فاننا لا نزجي آيات المديح ، ولا نخفي السمات الحقيقية لوجه العمل الادبي ولا نغض من شانه، وننزل بمستواه ، فان كل هذا يعد من الغيوم التي تحجب كل اثر وتضيع كل جهد ، ولكنا نقوم العمل الادبي بقيمته الحقيقية في كل لون بدا فيه ، او ثوب لبسه ، ونتذوقه على اصوله التي اعدت له ، او بني هو على اساس منها ، لنجلو حقيقة الشاعر ، ونجني ثمار شعره فجة وناضجة ناقصة ومستوفاة ، وقد كانت بضع ابيات من هذه القصيدة كفيلة بالوفاء بالغرض الشعري والشعوري بما فيه الكفاية ، ولكنها جاءت مبثوثة في تضاعيفها ، فاختلطت طاقات الشاعر الفنية ، بذكرياته التاريخية الخصبة ، بانطباعاته الاسلامية القوية ، وجاء منها جميعا هذا الحشد الهائل من الابيات المطبوعة والمصنوعة .

وعلى كل حال فقد غطت — في رأيي — اشراقة الذكريات ، ومشاعر المحبة روح الكلفة والتصنع .

---

١ — مدرسة المسجد ص ٩٥ للدكتور محمد رجب البيومي

كلية اللغة العربية — المنصورة محمود محمد لبدة

انا والشعر لرينه شار

ترجمة سعد صائب

* * *

١

الشعر كلام منفتح ، يؤثر التمرد باخائه ، بايثاره الحماسة او التأمل !
انه حدس العمق الانساني في التوصيل !

٢

اين الديموقراطية اذا ؟
انها تبدأ حيث تستوفي « انا الاخر » نهايتها من ان تغدو ذات اهمية (بغيضة ؟)
وحيث تمسي عند المجابهة ذات شجاعة حقيقية ..
اما الاوثان الجديدة فهي المذاهب .. هي حروف الكلمة الاولى .. هي المجردات :
انعكاسات شرطية في كلمات !

٣

ما القصيدة الا تذبذب بين قطبين :
بين حلم وواقع !
ومدينة وطبيعة !
وباطن وظاهر !
واحساس ودعابة !

٤

لكم تتملكني الحيرة بين الاغراء الهندسي المعماري (نظام ، وضوح ، ثقة) والطموح الى الحرية . الى المطلق . الى المغامرة (الماء ، النبات ، عالم الاحياء) الى الجامد والسائل . الى القاسي واللين . الى الجزيء والخلية !.

٥

تمثل في خاطر الشاعر النهاية المديدة (مدينة فاضلة UTOPIE) فيثب عبر المراحل (سياسة) .. لذا فلا جناح على الشعر ان عني بالمرحلة اللاحقة ولو خسر قوته . حسبه انه حشد طاقته في حلم حر !

٦

يحول تراكم الصور (في القصيدة) دون العثور على مدى فريد ، اذ يلفي نفسه وحيدا ، حائرا ، بمسيس الحاجة الى نشدان شيء او شخص !

٧

علينا (نحن الشعراء) ان نعثر على النبض (تسارع ، اغماء ، سكينة)
اذ ما من كلمة جيدة الا والايقاع ينقلها !

٨

لكم بدا شعري سهلا ، لانه يأبى المحسنات اللفظية ، والكلمات الاضافية ..
انه شفاف ، وعليك ان ترى عبره !

٩

اني اسعى الى التغيير البسيط ..
انشد الوقوف عند جملة ..
التمس اضافة بعض كلمات ينشأ عنها الواقع بقوة !
فنحن الشعراء من دأبنا التحرر من الونى ، من العادة ، من الشيء المبتذل ..
ومن ديدننا التجانف عن الانفجار والاسهم النارية !
حسب بناء الجملة في قصائدنا ، انه يعيد الى الفكرة حيويتها وانفعالها ..
حسبه انه يعدل كلاما يقظا غاية اليقظة في الحركات الداخلية !.

١٠

ثمة اناس كثر يتذرعون بالحداثة ، فيدمرون القيم الانسانية الجوهرية !

١١

انا محتاج الى ولوج الاشياء بوساطة الكتابة ،
ولولا الكلمات ما كان الامر لي ممكنا !

١٢

ما من واقع الا ويحتويه الشعر !

١٣

عبر اللاواقعية ، والسريالية ، والواقعية المدركة الجزئية التي تحابي التجربة المعاشة ،
ثمة الشعر الصادق الامين للواقع ..
اعني لحمة وجودنا نفسه ..
الواقع والحلم ممتزجين ..
السطحية والامل ..
العادة والتمرد !.

١٤

ان المبدع هو — تحديدا وعبر كل اسناد وكل مذهب — من يوحي للاخرين بالثقة ،
اولئك الذين يبنون وجودهم ، ويشيدون فاعليتهم على اسنادات ثابتة ومذهب ، ناشدا فيها التوضيح بأوفر

دقة ممكنة ..

ان المبدع من لا ينشد سوى اثبات القيم الانسانية دون تحديد او باعث منهجي ..

لانه يتحـــدد عبر الظاهر (١) APPARENCE والحالية (٢) ACTUALITE لذا فانه لا يفهم ، غامض في فعل الابداع نفسه ، يبدو كأنه لا يقدم اي شيء للمباشر ، ولا يرتبط بأية فاعلية .. كما ان ثمة ، اشفاقه من المضي بعيدا في ذاته نفسها ، مجابها عزلته الخاصة ، طارحـا وجوده للبحث ثانية !

١٥

الشعر – في استعارات مقيدة – اشبه بكرة الطاولة، وهي لعبة عقلانية ، لذا وجب عليه ان يعيد سير الحيـاة في تعقيدها . في حيرتها . في تناقضاتها !

١٦

انكفىء عائدا الى قضية « الاستعارة » اوليسـت سهلة ميسورة ؟

اوليست براعة خداع ؟

تتشوف الى تحقيق وحدة العالم وانسجامه وتناغمه اعني « ان العالم قاطبة جميل ! »

اولم يكن اللاواقعي صريحا كل الصراحة ، بقـدر انبعاث ما تحت الشعور Subconscient في حياتنـا اليوميـة ؟

١٧

لقد ازكت الحياة اوار معركة بين رغائبنا (الاوفر والاقل خفاء) والواقع الطبيعي ، فاصطدمنـا معـه ، واضطررنا الى نشدان حلول له ..

اما بالقياس الي ، فاني اعتبر ان الشعر شاهد هذه المعركة ، وليس عليه ان ينسى او ينفي منها جانبا دون آخر ..

اعني اني ارفض ما هو كائن فينا ، ولا احجـب الالوان البراقة الا لكي ادرك التخلي الكلي Renloncement Total اذ ليس في ميسورنـا في النيرفانا (٣) Nirvana الهروب الى هذا الصراع ..

اوليست احلامنا نفسها تعبر عنها ؟

اعني انها تتموضع في منحى فكري فتحسر عـن شعر يزخر بالحرية والحقيقة معا ..

الا اني لارى الشعر اشبه باقتراب.. اشبه بمشاركة في تحرير الانسان واغنائه ، لا نظـيرا للخداعيـة (٤) Illusionnisme

١٨

الا ان الشعر وضوح ، ويوشك الناس ان يمتنعـوا عن البوح في موضع ، ويلذ لهم الاختناق بصيغ جوفـاء بكل ما تحمل من مظاهر الوقار ، حتى اذا ما شع هذا الوضوح فانهم لا يقوون البتة على الهذر فيلهون بالجدارة، ولا يكادون يثبتون على شيء !

١٩

ان اللاارادية (٥) Automatisme – في شتى اشكالها – ضرورية حتى نقطة معينة ، مهينـة في شرط التحرر نفسه !

اما الكلمات الادبية المعادة ، فهي اشبه بالشعارات السياسية لا قيمة لها ، لانها ليست مظهرا انسانيا جوهريا عميقـا !.

واما الشعر فهو ما كان شخصيا بعمق، دون اي ضرب من التأثير ، او التنازل ، لذا يتعين عليه ان يكـون هو نفسه في عالم ينمو كل يوم !

٢٠

حين تفرض حقيقة اساسية نفسها علينا ، معناه انها قادرة على ان تتيح لنفسها ، بأن تمسي – في تلك اللحظـة بسيطة وغير متوقعة معا !

٢١

يعدل الالهام رعدا صامتا مفيدا يعظم الصدى ..

فلننظر في نهاية المطاف عبر ضباب :

العادات

والانعكاسات

والضرورة !

٢٢

نكتشف خلال الكلمات انتقالا نحو الجوهري !

٢٣

الشعر معركتي ضد السطحية والجبن والنذالة !

٢٤

ليس ثمة ازهـار ولا بذاءات ، وما مـن شيء يستغنى عنه ،

بل ان الكل قادر على ان يمسي خـلاف ذلك .. بتغيير موقفه !

٢٥

من فرط ما يرتضي الشعر الغموض وما لا يوصف يضحي فطيرة بالقشدة ..

يمسي شيئا ما يبتغي قول كل شيء دون سواه ..

انه ينشد التعبير والتوصيل بأجلى وضوح ..

اما الكلمات فتجيء في الان نفسه ، مفسحة المجال لانطباعاتنا واحاسيسنا وامورنا ، وطريقتنا في الرؤيـة والتفكير ..

ما الشعر الا حوار بين انسان وانسان !

٢٦

يعاني الناس من تقييد التعبير : مأساة القمع ويهابون المجازفة بأنفسهم ، فيحتمون خلف بعضهم مؤلفين جمعيات سرية ..

انه قانون الصمت !.

٢٧

ليس من المعقول نشر الديموقراطية ما دام التعبير

مع الحروف

ابيت اكرع آلامي فتسكرني ... ودون نشوتها يعشوشب الغضب
وللحروف مراح يلتظي ضرما ... في كل ناحية مني فاكتئب
وضاق مما راى صحبي فقلت لهم ... انا كحاطب ليل فاته الحطب
هذي الحروف نرويها فتظمئنا ... وكم مشى حين يغذوها بنا السغب
عشنا لها حرس ان مسها جنف ... يوما ، وثبنا وكل دونها حدب
عاشت بافكارنا جذلى ونحن بها ... نشقى واعصابنا الاوتار والطرب
فيا رعى الله من اضلاعه طويت ... على فؤاد لغير الحرف لا يجب

كربلاء ـ العراق ... عدنان حمدان

لا يبرح مقيدا ، ليس من السلطات العامة فحسب ، بل ضمن المهن والجماعات التي يمارسون فيها الصمت الدائم ، ورطانة التقنية الفلسفية المجردة الجوفاء: Technico-Philosophique, abstrait et creux ، التي ليست سوى تهرب ، سوى قناع نموذجي .. بينما تظل « الانا » بغيضة ممقوتة ، لانها محمولة في البعد التاسع عشر Conçu dans la perspective 19e من الريبة والمعارضة .

وما دام التعبير شخصيا دقيقا ، عميقا ، فليس من حقنا مقاضاته ، لان الفكرة ستظل اسيرة النماذج التقليدية (معارضة ، برهنة ، استقراء) منظورة كأنها مسؤولة عن « الموضوعية » وليست قادرة على الكلام في الحرية والازدهار ..

واذ اننا بدورنا في عصر الاذعان الاداري للسلطة ، والانقياد للخبرة او الخضوع للجمهور ، وعلى الرغم من علم النفس المعاصر والانظمة اللاموجهة ، فان الفرد سيظل مرفوضا ، ولن تكون طاقته المبدعة معروفة دوما !

٢٩

ايها الشاعر !
لقد ابت عليك التقنية ان تقلب طرفك وتردد لحظك
لذا وجب عليك ان تحيا الامل ، او تعيش القلق ،
في لحظة الحركة نفسها !.

٣٠

على الانطباع المضني ان يكون مذعنا لما لا طائلة فيه..
انه ركام من الاشياء التي تتسلق فوقك !.

٣١

ان شعراء اليوم ـ بالقياس الى الرومانسيين والرمزيين والسرياليين ـ يسهمون في ابداع شكل جديد من الفكرة ، ساعين الى ان يمسوا واقعيين !.

٣٢

على الشعر بخاصة ، ان يكون القضية الشائكة .. الهدف المباشر نحو خفايا اللحظة !.

٣٣

ان قصيدة جيدة ، هي لحظة صداقة ،
فعليها ان تتجه الى انسان ما ،
عبر الكلمات !..

١ ـ فلسفيا : ما يبدو من الشيء في مقابل ما هو عليه في ذاته .
٢ ـ كون الشيء من واقع الحال او ما يدعى بالمعاصرة .
٣ ـ الفناء المطلق .
٤ ـ توليد احداث تبدو مناقضة للنواميس الطبيعية .
٥ ـ صفة ما هو آلي غير متعلق بالارادة .

دمشق ... سعد صائب



مكتبة الاديب

احمد الزيات ومجلة الرسالة

تاليف الدكتور علي محمد الفقي

سلسلة اقرأ سبتمبر ١٩٨١ ــ دار المعارف بالقاهرة ــ ٢٠٠ صفحة

المجلات التي كان لها دور الريادة في حياتنا الفكرية في امس الحاجة لوضع كثير من البحوث عنها وتقديم الرسائل الجامعية حتى يتسنى لجيل لم يعاصرها ان يعرف اثرها ويدرك تاثيرها . وقد كان لكتاب قيم فيه جهد طيب ، وتحليل موفق ، الفه الشاعر الباحث محمد عبد الغني حسن والدكتور عبد العزيز الدسوقي عن « مجلة روضة المدارس » اثر لا ينكر في التعريف بهذه المجلة وما ادته للثقافة . فمن الضحالة الفكرية التي يعاني منها الشباب الا يعرفوا العروة الوثقى والمنار والمقتطف والبصائر والبيان والفتح ، فبداهة ، ان يجهلوا جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا ويعقوب وفؤاد صروف والبشير الابراهيمي وعبد الرحمن البرقوقي ومحب الدين الخطيب . فهذه المجلات وهؤلاء الاعلام منارات اضاءت طريق الفكر ، وعبدت سبيل الحرية . ولهذا كان اغتباطي شديدا حين اصدر الدكتور علي محمد الفقي كتابا عن « احمد حسن الزيات ومجلة الرسالة » جعلني استرجع اياما خلت . واحسست كان نورا دافقا انداح بين جوانحي . وقد جعل الدكتور كتابه في فصلين . الفصل الاول فيه ذكر اسرة الزيات ومولده ثم النشاة وبعض سماته، وعمله معلما ومحررا للرسالة . وقد احسن المؤلف اذ قام بالاتصال ببعض اهله. ومن عملوا معه . فالارتحال في سبيل التعرف والمعرفة وتتبع وتقصي اخبار الاعلام الراحلين بعض ما نؤمله من كتابنا لان هذه الخاصية كانت احدى الفضائل التي اندثرت والتي جعلها قدامى مفكرينا نبراسا لهم . وفي الفصل الثاني تحدث عن الرسالة وموضوعاتها واشهر كتابها وبعض المعارك الادبية التي جرت على صفحاتها . واثرها في البيئة الادبية حتى احتجابها . والانطباع الاول الذي يخرج به المتلقي لهذا العمل ان المؤلف قد اطنب في الفصل الاول في ذكر التواريخ وضرب الامثلة ونقل النماذج مما تضيق به صفحات هذا الكتيب المحدودة . وفي الفصل الثاني اخذ يعدو مهرولا ومقتضبا ، مما جعل الكثير من الحقائق الادبية الواضحة المعالم تبدو باهتة او مطموسة . وربما كان للتوقيت الذي كتب فيه البحث وهدف السلسلة التي كتب لها : التبرير والعذر . فمثلا حين نقرأ للزيات من كتابه « تاريخ الادب العربي » « كان المنفلوطي قطعة موسيقية في ظاهره وباطنه ، فهو مؤتلف الخلق ، متلائم الذوق ، متناسق الفكر، متسق الاسلوب ، منسجم الزي ، لا تلمح في قوله ولا في فعله شذوذ العبقرية ، ولا نشوز القدامة » الا نحس ان الزيات يتحدث عن نفسه من خلال هذه الكلمات . فما مدى تاثره بالمنفلوطي ووجه الشبه بينهما في الاسلوب ؟ ثم قضية من اهم القضايا الفكرية التي تمس الامانة الادبية وتاريخ الفكر . ما الحكم الادبي على ما حذفه الزيات من عبارات وجمل من مقالاته في الرسالة حين اعاد طبعها في كتابه « وحي الرسالة » ؟ وقد كانت هذه الفقرات حين كتابتها معبرة عن الصدق . جميلة وآسرة . وغير هذا كثير كان من الممكن بحثه والتعليق والتعقيب عليه . وثمة بعض التجاوزات العابرة ، نشير الى بعضها في ص ٨٣ « واشرف على مجلة الرسالة الجديدة التي ردت لهفة الادب والادباء بين سنتي ١٩٦٣ و١٩٦٥ » والتي اشرف عليها هي « الرسالة» التي اعادت اصدارها وزارة الثقافة والارشاد ايام الدكتور عبد القادر حاتم . وقد كان للزيات الاشراف الاسمي وللدكتور الشاعر عبده بدوي الرئاسة الفعلية للتحرير . اما « الرسالة الجديدة » فحررها يوسف السباعي . ويعود لتكرار هذا التجاوز مرة اخرى وفي ص ١٥٢ « ومن الملاحظ على كتابتها ان بعضهم التصق بها التصاقا تاما ظل حتى اخر ايامها كالرافعي والمازني » كيف يكون ذلك . والزيات رثى الرافعي ابلغ الرثاء قبل احتجاب الرسالة بسنوات . بل ان العقاد لم يتصل بالرسالة الا بعد وفاة الرافعي وفي ص ١٥٣ « وممن ارتبط بالرسالة من ميلادها الى احتجابها انور المعداوي .. » ابدا . فالمعداوي بدأ كتابة بابه المشهور « تعقيبات » ودراسته المطولة عن الشاعر المهندس علي محمد طه قبيل الاحتجاب بسنوات . واعجب ما يتصوره مثقف ان يكون الحديث عن الرسالة ويتوارى سيد قطب ومقالاته العديدة عن العقاد وبحوثه الادبية . وعلي الطنطاوي الذي كتب كثيرا واشرف على التحرير فترات طوالا هل تكتب عنه فقرة ؟ ومعارك الدكتور محمد احمد الغمراوي مع الدكتور زكي مبارك التي كانت ايماءة لبعد مبارك عن الحياة الادبية . وبداية لانهياره الفكري ؟ والسلسلة التي استمرت فترة طويلة وكانت الاولى من نوعها . واعني ، احمد عرابي الزعيم المفترى عليه . لمحمود الخفيف . وجمعت بعد ذلك في كتاب ، اضحى مرجعا في موضوعه . وعبد المنعم خلاف و« اومن بالانسان » وغير هذا .. لقد سبق ان قال كاتب هذه الكلمات في مجلة « الفكر » التونسية العدد العاشر يوليو ١٩٨٠ « .. فمجلة «الرسالة» التي ظلت فترة طويلة منارة للفكر في كل انحاء العالم العربي مغربه والمشرق . وكتب فيها اعلام الفكر العربي يجب الا تكون مجهولة لباحث او اديب يتصدى للكتابة عن اي ناحية من نواحي الفكر العربي المعاصر » . فهل ارتقى كتاب « احمد حسن الزيات ومجلة الرسالة » الى هذا المستوى . آمل ان يكون تمهيدا لبحث اكثر عمقا واحاطة حتى لا ينصرف شبابنا عن الثقافة الرفيعة حين لا يجدون ما يروي الغلة ويشبع الشوق .

محمد الشاذلي حسن — شاهر ــ القاهرة

* * *

ديوان « الموج في جزيرة العيون »

شعر فوزي عطوي ــ ٩٦ صفحة من الحجم الوسط ــ منشورات دار الرازي ــ بيروت ــ مطابع الكرمل الحديثة

ديوان جديد عدد صفحاته ٩٦ من القطع المتوسط ، صدر في العام

الاديب



٥

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٥٠ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٣٠٠ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ١٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ٢٠٠ ل.ل. او ١٠٠ دولار كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

☎ الادارة : ٢٢٣٨١٩ ☎ Dir. 223819

المنزل : ٢٢٥١٣٩ Die. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨ـ١١

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

ألبير اديب

١٩٨٠ ، عن دار الرازي في بيروت ، للشاعر والمحامي الشاب فوزي عطوي ، مكتوبة صفحاته كلها بخط اليد الرقعي الجميل ، وكل كلمة فيه مشكولة شكلا يكاد يكون تاما ، حتى عناوين الفهرس ، وخصص ريعه لجمعية الصليب الاحمر اللبناني .

على الغلاف الاخير اقرأ تعريفا بالشاعر ، ليس فيه تاريخ ميلاده، ولا فيه شيء عن دراسته ، ولا عن عمله ، ولا عن انتاجه الادبي وما اصدره من دواوين ، ولكن فيه بعض التعريف بالشاعر من خلال ادبه فقط . وفي هذا التعريف اقرأ ما يلي :

« فوزي عطوي وحده رابطة ، فان فيه من الحيوية الدفاق ما يكفي لاتيان العمل الكبير . فهو الشاعر ، والكاتب ، وابن المجتمع ، ورجل القانون . اذا خلا لنظم ، فالثورة فيه ، والرقة فيه ، وفيه الاطلالة الميسورة على الوجود . واذا قعد لكتابة ، فبشراسة المقتنع يكتب ، وبعناد المؤمن . واذا وقف لخطابة ، فكان سحبان مر من هنا .

« وفوزي عطوي يمثل جيلا من المعاناة ، جيلا من الثورة الرافضة بتعقل ، ويتطلع الى مناظرة القمم ، وليس كالقمم ما يستهوي الطامحين » .

اترانا عرفنا فوزي من خلال هذا الذي اقتبسته هنا من خطبة المحامي عصام كرم في الاحتفال بتقليد فوزي وسام الارز الوطني ؟

ليس هذا كافيا ، ولا نرضى بان يكون كافيا . فنحن لا نصدق الا اذا وضعنا الاصابع في مغارز المسامير ، وفي فتحات الجراح النازفة ، لنقيس مدى عمقها ، وحرارة الدم المنبجس منها . عند هذا فقط نصدق . وهذا ديوان فوزي عطوي الجديد امامنا ، وكله قصائد حب ووجد ، قصائد رقة واناقة ، يبدو لنا من خلال قراءتها ان فوزي شاعر انيق رقيق حقا . ولكن ما هو اهم من الرقة والاناقة ، ان فوزي « شاعر انسان » تترقرق الانسانية في ثنايا شعره، ومن خلال ابيات الغزل والحب في قصائده .

القصيدة الاولى في الديوان الجديد ، عنوانها « اليوم عدت اليك » ويستهلها الشاعر بقوله :

اتصدقين بانني اكتب ما كان قبل اليوم لا يكتب ؟
ارجعت للينبوع رقته ورجعت من سلساله اشرب

الغزل والحب من الاشياء المألوفة جدا في الشعر ، ولا يكون الشعر شعرا حتى يكون عاطفة تنثال ، وحسا يتوقد ، وسلسالا يترقرق . ولكن الحب لا يكون جميلا وفاعلا ومؤثرا حتى يكون هو « الانسان » وهو « حس الانسان » .

ومن خلال نجوى الحب الحنون نقرأ قول الشاعر في ثنايا القصيدة عينها :

انسيت اني الحلم اذ ارضى وبأني الغفران اذ اغضب ؟
واحرقتي من نفسي الولهى واشقوتي من قلبي الطيب !

« الحلم في الرضى ، والغفران في الغضب » : هذا المعنى جميل وجديد في شعر الغزل ، لانه يصدر من قلب « انسان » لا من عاطفة ، عاشق ولهان . وانا افرق كثيرا بين قلب « الشاعر الانسان » وقلب « العاشق الولهان » ، ولا ادخل في التفاصيل وفي بيان الفوارق ، لانني احسها بعمق ، ولا احب ان اسيء الى قدسيتها بتمييزها بالالفاظ .

ويعود الشاعر شاعرا عاشقا كغيره من العاشقين ، حين يختم قصيدته بقوله :

اليوم عدت اليك ، لا تسلي هل بعد لي من حبنا مهرب ؟
ما ضاع منا لم يكن عمرا ايام ذاك العمر لا تحسب !

ان هذا من كلام الشعراء العشاق ، ومن الغزل المالوف . واما « الحلم في الرضى والغفران في الغضب » فشيء اخر ، هو الحب ، ولكنه فوق الغزل والعشق .

وليس من الحتمي ان يخلو كل غزل مالوف من الجمال والرقة، ومن جدة العبارة واناقتها . تظل الرقة ، ويظل الجمال والاناقة حين يعرف الشاعر كيف يعبر عن عاطفة ، وعن تجربة حية ، بالعبارة الشاعرة ، وباللفظة الشاعرة . وفوزي عطوي غني بالشاعرية حسا وعبارة ولفظا .

في القصيدة الثانية من الديوان ، وعنوانها « الوتر القدسي » يقول الشاعر مناجيا من يحب :

هل كان نيساننا ايماءة عبرت   هل كان غيمة صيف ضمها افق
ام كان نيسان فوق الحرف نكتبه   وكان فوق جبين النجم يأتلق ؟!

ليس هنا غنى في الشاعرية فحسب ، ولكنه الغنى الذي ترافقه الاناقة ، وتهدهده حلاوة الموسيقى ، واناقة وموسيقى ايضا قول الشاعر في ختام القصيدة :

غنيت اشرف الحاني ، فكل سنا   اضحى من الوتر القدسي ينبثق
ما كان للفجر ان يجتاحه غسق   وبعد لم يرتسم في افقه شفق !

في بعض الاحايين ، وانت تقرا الشعر ، لا تقف لتسأل عن تركيب العبارة ، وما يمكن ان تحمله الالفاظ من معنى كبير او صغير ، لانك تحس المعنى في اعماقك ، ولا تبحث عنه في التركيب وفي الالفاظ : اناقة العبارة وموسيقيتها تخطفك من صيغة الكلمات ، وتنسيك تركيب العبارة ، فلا تعود تذكر ان جميع الالفاظ موجودة في بطون القواميس. فالقواميس مقابر للالفاظ الجامدة ، في حين ان الالفاظ هنا ترقص وتغني للحياة .

اين من حبي لحن ذائب   في كياني ، يا فما يهفو لفم !

هنا نداء من لون جديد وطعم جديد : « يا فما يهفو لفم ! » فيه الحنان وفيه الرقة ، وفيه الغنى الموسيقي ، وفيه الخيال الملون الموهوب المترف . وهذا البيت من قصيدة « الحزن والقيثارة » . وفي هذه القصيدة عينها يقول الشاعر :

يا التي لم تهو الا قممي   لست القاك على غير القمم
ان حباك الحب مثلي نغما   اين لي مثلك في الحب نغم ؟

ومن جديد نعود الى الانسانية ، والى الخلق الناعم في الشعر، فاذا نحن مع الشاعر في قصيدته « اضراب على الورق » حيث يقول :

يا عذبة الروح، لو احزنت اغنيتي   ما كنت احقد، ليس الحقد من خلقي

في هذا البيت الصغير الكبير تجتمع ميزتان شعريتان : لطف الصورة ورقتها في « احزنت اغنيتي » ، ونبل الخلق في عجز البيت كله . والشعر والحقد ضدان لا يجتمعان : الشعر حب واحساس انساني ، والحقد ظلمة وسواد في النفس يترفع عنهما الشعر ، وياباهما خلق الانسان .

وفي قصيدته « كرامة المهزوم » يقول الشاعر :

انا ما رجعت الى رحابك شاكيا   متعثرا في حبي المكتوم
لكنما نبل القلوب يصونها   فترى الوفاء احق بالتكريم
غيري ينافس او ينافس في الهوى   ولقد يبوح باته المحروم
اما انا فلقد حفظت عن العلى   الا ابيع كرامة المهزوم !

الحب لا ينسى النبل ، ولا الوفاء ، ولا الكرامة ، وكلها مجتمعة في اربعة ابيات من قصيدة واحدة ، لتدل على ان هنالك انسانا ، قبل الحب وبعده .

ومرة اخرى نعود الى العبارة الموسيقية التي تدغدغ الحس ،

فنقرأ قول الشاعر في قصيدته « انا ربيعك » :

انا ربيعك لم يدفأ لنا حلم ... لو لم تذيعي على اعطافه اللهبا
اما عقدنا على نيسان عمر هوى ... لا رق نيسان لولاه ولا عذبا
ما نغمة الحب الا دفء اغنية ... تادب الحب اذ رفرقتها طربا
نثرت بعض شموخ الحب في نغمي ... فرحت انثر في الحاني الشهبا

لن امضي مع الديوان الى نهايته ، فهذه قصة تطول ، وبعض ابيات الديوان يدل على جميع قصائده : احلام هوى ، واحاسيس دافئة ، ونغمات موسيقى ، وزخات من انسانية ونبل .

هذه خلاصة ديوان « الموج في جزيرة العيون » الذي تفضل الاخ الشاعر فوزي عطوي فاهدى الي نسخة منه من لبنان الجريح ، وتكرم الاخ الكبير الاستاذ اكرم زعيتر فاوصلها الي ، كدابه في ان يمتعني باكرم الهدايا .

وشكرا لاكرم ، وشكرا لفوزي على الهدية الشعرية الرقيقة .

عمان – الاردن ... عيسى الناعوري

* * *

الكلمة التي قدم بها المشرف الدكتور جبرائيل جبور اطروحة

محمود بن الحسين البغدادي

المعروف بابي الفتح كشاجم

للدكتورة ثريا ملحس

وبعد ، فلست ادري كيف ابدا حين احاول التعريف بالسيدة الدكتورة ثريا ملحس ، مؤلفة هذه الرسالة القيمة في محمود بن الحسين المعروف بابي الفتح كشاجم في اثاره واثار الدارسين ، حياته وديوانه . فهي والحق اديبة عالمة قبل خوضها في هذا الموضوع ، وقبل انجاز دراستها لهذا الشاعر المغمور واثاره الرائعة . فلها الكثير من المؤلفات الادبية والعلمية التي تؤهلها لان تعد في طليعة العالمات الباحثات في شرقنا العربي . وقد مارست التعليم في المعاهد العلمية العالية من الكلية الجامعية ، وانتهاء بالجامعة اللبنانية حيث تدرس الادب الاموي وغيره من المواضيع الادبية .

وقد شاءت أن تدرس الشاعر محمود بن الحسين المعروف بابي الفتح كشاجم ، اطروحة الدكتوراه ، فعمدت الى كل ما استطاعت ان تصل اليه يدها من مخطوطات ديوانه ، ومن مخطوطات وكتب فيها شيء عنه ، وتناولت كتب المحدثين الذين كتبوا عنه او ذكروه ، ودرستها فرأت ان مجال القول في هذا الشاعر اكثر بكثير مما كتب عنه . ولاحظت ان هناك اخطاء ارتكبها بعض المؤلفين القدماء والمحدثين بصدد شعره ، وما نسب منه لغيره ، وبصدد ولديه وما نسب من شعر احدهما اليه . وبذلت جهداً عظيما في درس شعره ، وتصحيح هذه الاخطاء ، وتوضيح ما غمض من حياته ، سالكة سبيل البحث العلمي في دراستها وفي نقدها للروايات والاخبار المتباينة عن حياته جانحة في اغلب الاحيان الى ادق التفاصيل بحيث اظهرت نسبه الصحيح ، وكشفت عن اسرته ، وعائلته وصحبه من الامراء والاشراف، وتتبعت تنقلاته في رحلاته المختلفة ما بين مصر والشام والعراق ، وارت القارىء من هذا الشاعر ، الذي كاد يكون مغمورا الا عند المتخصصين، شخصية فذة نادرة ذات ثقافة واسعة ، جمعت فنونا من العلوم والمهارات التي كان يحسنها من كتابة وشعر وادب وتنجيم وتلحين ، هذا عدا المامه بالطب البشري والحيواني ، والطبخ ، وهوايته بالصيد ، وعلمه بشؤون البيزرة . بل ارتنا كيف كان يجمع احيانا في تلك الشخصية بين المتناقضات من تقوى واثم ، وكيف ان صاحبها كان يرى في رحمة ربه وغفرانه ما يشجعه على الجنوح الى مركب اللهو العنيف ، والفسق الفظيع .

ومن يقرا هذه الرسالة يجد فوق ذلك اخبارا منثورة هنا وهناك عن عصر هذا الرجل (القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي) ، وعن زملائه ، وعن الفرق الاسلامية ، وفروعها ، وكيف نشات ، وعن صلته بها ، وعن كثير من الشخصيات التي ورد ذكرها في سياق الحديث . كل ذلك باسلوب علمي موثق ، تستند المؤلفة في ايراده الى اصول تذكرها بدقة وتفصيل بحيث لم تترك مجالا لمستزيد .

* * *

الدخول الى الصفاف

شعر عزيز الواسطي – ١٢٠ صفحة – مطبعة الجامعة – بغداد

عندما يثق الانسان بنفسه ويجد فيها الكفاءة ، والاقدام فانه يحقق احلامه على دروب الحياة التي تتطلب الثقة بالنفس والاصرار الحاد والشاعر الشاب عزيز الواسطي واحد من الذين يجدون ولا يلهثون ويعمل بصمت خلال ساعات فراغه من اجل القصيدة الشابة المبرعمة التي تتفتح تحت رقصات الظل المجدولة بعطور الحدائق في الصباح المشرق الجميل ... والدخول الى الصفاف ديوانه البكر الذي يضم تسع عشرة قصيدة بل زنبقة راقصة باشذاء الربيع موزعة على مائة وعشرين صفحة .

الشاعر الشاب يحب الانفتاح على الطبيعة فهو يغني للنهر والاشجار والشمس المشرقة على الحقول والازهار بعيدا عن عذابات المدن المزدحمة الخانقة وقهر الانسان ومن خلال ذلك يمتلك ناصية التعبير والولوج الى الاعماق بكلماته الواعدة :

هوذا النهر وحلمي .. والعذارى والطيور
والرعاة المتعبون
في الحقول يعزفون للغروب
حين عادوا ، والطيور

نتمنى للشاعر عزيز الواسطي النجاح والتوفيق في دروب هذا الفن من اجل العطاء الوارف بالابداع ..

العراق – الكوت ... كاظم محمد حسين